القمة الأمريكية السعودية الأولى

القمة السرية بين الملك عبد العزيز ابن سعود والرئيس روزفلت

البحيرات المرة (١٩٤٥)

F.D.R. MEETS IBN SAUD

By

WILLIAM A. EDDY

Colonel, U.S. Marine Corps, Retired
First U.S. Minister Plenipotentiary to the
Kingdom of Saudi Arabia (1944-1946)

بقلم: عقيد بحري متقاعد

وليم إيدي

أول وزير مفوض أمريكي بالسعودية

ترجمة: حسن الجزار

تقديم وتحرير ودراسة

ممدوح الشيخ

كلمة الناشر

تعد القمة الأمريكية السعودية الأولى (فبراير ١٩٤٥) حدثا مفصليا في تاريخ المملكة والمنطقة العربية والعالم، إذ أسست تحالفا راسخا بين القوة الأكبر في العالم واحدة من أهم القوى الإقليمية، وقد صمدت التفاهمات التي أرسها الرئيس الأمريكي روزفلت والملك عبد العزيز بن سعود في وجه عواصف إقليمية ودولية عاتية: إنشاء إسرائيل، الحروب العربية الإسرائيلية، انهيار الاتحاد السوفيتي، غزو الكويت.. .. ..

وكانت السرية التي أحيطت بها القمة قد عززت أهميتها وجعلتها تبدو حدثا غامضا تحيط به الأقاويل حتى كتب الكولونيل ليم إيدي هذه الوثيقة التي تترجم للعربية كاملة للمرة الأولى، وقد صدرت في طبعة محدودة عام ١٩٥٤ عن جمعية (أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكان) وصدرت في طبعات واسعة بدءا من العام ٢٠٠٥.

والكولونيل إيدي أول وزير أمريكي مفوض في المملكة العربية السعودية (١٩٤٤ — ١٩٤٦) فضلا عن أنه تولى الترجمة بين الرئيس والملك في لقاء القمة، ولديه معرفة عميقة بالمملكة والعلاقات بين البلدين. وقد تضمن الكتاب: الترجمة الكاملة للوثيقة، وصورة ضوئية كاملة لها، إلى جانب تعريف واف بالرئيس والملك، وقراءة في تاريخ العلاقات بين المملكة العربية السعودية والغرب.

ولأهميتها التاريخية الاستثنائية، فإن هذه الوثيقة مما لا غنى لمتخصص في تاريخ المملكة والعالم العربي عن اقتنائها لأنها تكشف عن درجة الاتفاق والخلاف في القضايا الرئيسة التي ساهمت بنصيب كبير في صياغة تاريخ المنطقة، وما تزال.

الناشر

مكتبة بيروت

القمة الأمريكية السعودية الأولى

القمة السرية بين الملك عبد العزيز آل سعود والرئيس روزفلت (١٩٤٥)

بقلم:

عقيد بحري متقاعد: وليم إيدي

أول وزير مفوض أمريكي بالسعودية

(١٩٤٤ - ١٩٤٦)



ترجمة: حسن الجزار

إعداد وتقديم ودراسة: ممدوح الشيخ

الكتاب: **القمة الأمريكية السعودية الولى**
المؤلف: ممدوح الشيخ (تجمة حسن الجزار)
الناشر: مكتبة بيروت..

سلطنة عمان — مسقط
ص ب ٢١٠٥ الرمز البريدي ١١٢
محمول : ٠٠٩٦٨٩٩٠١٠٥٠٤
: ٠٠٩٦٨٩٩٠٥٨٧٥٠
تليفاكس: ٢٤٧٠٠٦٧٧
Email: b_bookshop@yahoo.com
شركة دلتا — مكتبة بيروت
ج. م. ع — القاهرة - كوبري القبة
(٨) عمارات مجلس الدفاع الوطني
محمول : ٠٠٢٠١٢٤٧٠٧٦٧٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٢٥٨٣٧٣٣

رقم الإيداع: ١١٩٠٩ / ٢٠٠٨
ISBN: 978-977-6273-18-4

الطبعة الأولى : ٢٠٠٨

تصميم وتنفيذ : خضير جرافيك
Khodair97@yahoo.com

فهرس الكتاب

مقدمة

هذه الوثيقة قصتان: موضوعية وشخصية، فأما الموضوعية فسنعرض لها في الفصل الأول من الكتاب لأنها جزء من سياق تاريخي لابد من وضعها فيه، أما القصة الشخصية فهي أنني تعرفت في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي على مفكر مهم هو الأستاذ الدكتور السيد فهمي الشناوي رحمه الله، وكان أستاذا للمسالك البولية بكلية طب القصر العيني، فضلا عن أنه كان من أهم كتاب مجلة "المختار الإسلامي" المصرية.

كنت من المعجبين بكتاباته وكتب لي مقدمة كتابي الأول[1]، وبتعرفي عليه نشأت بيننا صلة حميمة عرفت من خلالها للمرة الأولى قصة عمله بالعراق وتعرفه أكراد العراق ومشكلتهم وكان صاحب الفضل الأول في جعل معرفتي بهذا الملف أكثر دقة، كما عرفت جانبا من علاقته بالإمام الخميني زعيم الثورة الإيرانية والعديد من قياداتها، حتى أنه كان الطبيب الذي باشر علاج الخميني في المرض الذي توفي فيه. وكان حصولي منه على هذه الوثيقة موضوع مفارقة ملفتة!

---

[1] كتاب "المسلمون ومؤامرات الإبادة" وصدرت طبعته الأولى عن مكتبة مدبولي الصغير بمصر عام ١٩٩٤.

طلبت من الرجل أن يرشح لي عملا لترجمته من الإنجليزية فقال لي إنه يملك وثيقة مهمة لم تنشر في الإنجليزية إلا في طبعة محدودة – وبالفعل كانت النسخة مرقمة باليد – وكان يرى أنها سوف "تكشف خيانة" الملك عبد العزيز بن سعود والنظام السعودي، والملفت هنا أن الوثيقة وهي تخرج اليوم للنور أراها وثيقة براءة للملك عبد العزيز!

وفي كل الأحوال فإنني مدين لهذا الرجل الشكر بالكثير، رغم أن كثيرا من آرائه أصبحت اليوم بالنسبة لي صفحة طويتها، ويبقى أنه أمدني بهذه الوثيقة التي لم يكن العثور عليها آنذاك سهلا، صحيح أنها اليوم متاحة على شبكة الانترنت لكنها في ثمانيات القرن الماضي لم تكن متاحة بأي شكل إلا في دوائر محدودة.

والوثيقة لها أهميتها التاريخية الكبيرة باعتبار موضوعها وتوقيتها ومحتواها، وإلى جانب قيمتها من الناحيتين التاريخية والسياسية، فإنا تحوي ملاحظات وانطباعات ثقافية عميقة لكاتبها الوزير المفوض الأمريكي وليم إيدي لها – في تقديري المتواضع – أهمية استثنائية.

ممدوح الشيخ

تمهيد

هل كان هذا اللقاء بين الملك السعودي والرئيس الأمريكي حدثا تاريخيا؟

لن نلتمس الإجابة عند المحللين أو المؤرخين رغم أهمية إجاباقم بل سوف نلتمسها – أولا – عند واحد من أهم السياسيين في القرن العشرين هو لي كوان يو (رئيس وزراء سنغافورة في الفترة ١٩٥٩ـ١٩٩٠)، ففي مقال له عنوانه: "ثمن التراجع في العراق" يقول:

"عام ١٩٤٥ التقى الرئيس الأميركي تيودور روزفلت مع العاهل السعودي الملك عبد العزيز على ظهر السفينة الأميركية كوينسي في منطقة البحيرات المرة في مصر. وكان روزفلت عائدا إلى بلاده بعد زيارة يالطا، حيث حدد هو وجوزيف ستالين ونستون تشرشل حدود عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية".

"والتفاهم الذي توصل إليه روزفلت والملك عبد العزيز على ظهر السفينة الحربية كوينسي، لم يكن قليل الأهمية، فقد كان أساس الاستقرار في الخليج، وهي منطقة مضطربة ولكنها حيوية، في الـ ٦٣ سنة الماضية. وعاشت معاهدة كوينسي ثلاث حروب عربية إسرائيلية واستمرار النزاعات ذات الكثافة المحدودة بين العرب والإسرائيليين".

هكذا يرى السياسي الآسيوي المخضرم ما شهده هذا اللقاء من تفاهمات، وهو يراه أساسا للعلاقات الأمريكية السعودية حتى الآن[1].

---

[1] ثمن التراجع في العراق – لي كوان يو – مقال – الشرق الأوسط اللندنية – ١١ – ٣ – ٢٠٠٨.

من ناحية أخرى فإن القمة كانت لحظة نادرة من لحظات النجاح الملموس في التأثير على صانع قرار أمريكي في حجم روزفلت، ويقول فرانسيس بيركيتز، أحد أعضاء الوفد المرافق للرئيس روزفلت، إن ابن سعود قال للرئيس الأمريكي: "رغم حاجتنا الماسة للمساعدات فإن العرب يفضلون الموت على التخلي عن أرضهم لليهود، وأدرك روزفلت بعد اللقاء، أن قضية إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين لن تكون قضية سهلة، وستواجه برفض عربي شامل، وستندلع بسببها الحروب. وفي طريق عودته إلى الولايات المتحدة أعرب روزفلت لوكيل وزارة خارجيته عن مخاوفه قائلا: "إن الطبيعة إذا أخذت مجراها، فإن كثيرا من الدماء سوف تهدر بين العرب واليهود، ولا بد من إيجاد معادلة لمنع حدوث ذلك"[1].

وفضلا عن أهميتها الاستراتيجية اكتسبت هذه القمة أهمية رمزية كبيرة حتى بعد مرور أكثر من نصف قرن عليها، وفي الذكرى الستين لانعقادها أقامت "جمعية أصدقاء السعودية" حفلا حضره حفيد الرئيس الأمريكي اتش ديلانو روزفلت وعدد من بحارة السفينتين "يو اس اس كوينسي" و"يو اس اس ميرفي" الذين شهدوا اللقاء. وكانت القمة توصف في كلمات المشاركين الأمريكيين والسعوديين بأنها: "تذكر بعمق العلاقات التاريخية بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية التي كانت فاتحتها ذلك اللقاء التاريخي بين الملك عبد العزيز رحمه الله والرئيس روزفلت".

وألقى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون كلمة في الحفل عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة، وصف فيها القمة بأنها وضعت "بذرة علاقات الصداقة بين

(1) فلسطين في اللقاء التاريخي بين عبد العزيز وروزفلت - بلال الحسن - جريدة الشرق الأوسط اللندنية – نت – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣.

البلدين". وقال إنه ما زال يتذكر الاحتفال بمرور خمسين عاما على اللقاء عندما كان رئيسا للولايات المتحدة[٢].

وعندما مرت العلاقات الأمريكية السعودية بأزمة عام ٢٠٠٧ بسبب تصريحات للملك عبد الله عن الوجود العسكري الأمريكي في العراق قال مسؤول رفيع المستوى في الإدارة الأميركية إن الإدارة لا تزال حائرة في تصريحات الملك السعودي عبد الله خلال القمة العربية في الرياض، التي وصف فيها الوجود الأميركي في العراق بأنه احتلال، وقال المسؤول، الذي طلب عدم ذكر اسمه: "عندما استفسرنا سراً أبلغنا بأن علاقتنا عميقة ووثيقة تعود إلى (عهد الرئيس) فرانكلين روزفلت بحيث لا يستطيع أي شيء مهما كان أن يغير تلك العلاقة، وأنها راسخة كالصخر. انتهى الكلام"![١].

وتحفل الدراسات التي تتناول العلاقات الأمريكية السعودية بإشارات لهذه القمة ونقول مما ورد بالشهادات التي كتبت عنها على نحو يستعصي على الحصر لكثرة هذه الإشارات.

---

[٢] حفيدا الملك عبد العزيز وروزفلت يكرمان عددا من طاقم السفينتين الذين شهدوا اللقاء التاريخي في ١٩٤٥ – جريدة الشرق الأوسط اللندنية – ١٦ – ٢ – ٢٠٠٥.

[١] واشنطن تنقل عن الرياض: حلفاء من عهد روزفلت – جريدة الأخبار اللبنانية – ١٣ إبريل ٢٠٠٧.

الرئيس والملك

كانت القمة الأمريكية السعودية الأولى لقاء بين رجلين لكل منهما أهمية استثنائية من وجه من الوجوه، فابن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الذي وضع الأسس التي سارت عليها المملكة في علاقاتها الدولية حتى الآن، أما الرئيس فيعد أهم رؤساء الولايات المتحدة على الإطلاق – باستثناء الرئيس المؤسس جورج واشنطون – فهو صاحب قرار دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية بعد أن التزمت الحياد لسنوات، وهو القرار الذي كتب نهاة لحقبة طويلة من الانعزال، وفتح الباب لانغماس أمريكا في السياسة الدولية وهو ما لم يتغير حتى الآن.

الرئيس:

هو فرانكلين ديلانو روزفلت (٣٠ يناير ١٨٣١ – ١٢ إبريل ١٩٤٥) الرئيس الحادي والثلاثون للولايات المتحدة، وحسب نتائج استطلاع للرأي أجرته مؤسسة الزغبي الدولية عام ٢٠٠٨ فإنه أفضل رئيس أميركي معاصر، وقد احتل روزفلت المرتبة الأولى في جميع الاستطلاعات السنوية التي تجريها مؤسسة الزغبي حول أفضل رئيس أميركي معاصر منذ عام ١٩٩٧، ولم يتنازل عن هذه المرتبة سوى مرتين في عام ٢٠٠٦ و٢٠٠٢ لمصلحة زميله الديموقراطي الرئيس الراحل جون كنيدي. ومن بين ١٠٢٦ ناخبا محتملا شاركوا في الاستطلاع الذي أجري بواسطة الهاتف، قال ٦٩% إنهم يعتقدون أن روزفلت رئيس أميركي "رائع"، مقابل ٦٧%

قالوا الشيء نفسه عن كنيدي فيما حل الرئيس الراحل رونالد ريغان في المرتبة الثالثة مع ٦٢% من الأصوات[١].

ويحتل روزفلت مكانة مرموقة في نظر المتخصصين في العلاقات الدولية كشخصية استثنائية، فحسب البروفيسور فيكتور سوبيان، نائب مدير معهد الولايات المتحدة الأميركية وكندا التابع لأكاديمية العلوم الروسية فإنه أحد أكثر الرؤساء الأميركيين بروزا، فهو صاحب تأثير استثنائي ليس فقط في التاريخ الأميركي، بل والعالمي أيضا. وقد احتفلت الأكاديمية بذكرى ميلاده الـ ١٢٠ فكانت مناسبة لتقييم إنجازاته خلال فترة حكمه. وقد تبوأ فرانكلين روزفلت سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الأميركية في وقت صعب واستثنائي كانت تمر به البلاد ففي هذا الوقت كانت تعيش أكبر أزمة دورية في تاريخها، وهذه الأزمة لفت في بداية الثلاثينات من القرن الفائت سائر العالم الرأسمالي إلا أنها كانت أكثر إيلاما في الولايات المتحدة الأميركية حيث اتخذت طابع المقاييس الكارثية. وقد تمكن من إخراج بلاده من الأزمة بفضل السياسة الاقتصادية الجديدة التي أطلق عليها "الخط الجديد". كما ألقت أعوام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) الضوء على حدود جديدة من مواهب روزفلت الذي أظهر عن نفسه كرجل دولة من الطراز العالمي. ولعب روزفلت دورا هاما في تأسيس الائتلاف المعادي للهتلرية مما سمح بتوحيد جهود الدول العظمى الثلاث: الولايات المتحدة الأميركية، الاتحاد السوفياتي وبريطانيا وتحطيم ألمانيا الفاشية. ولم يكن ذلك أمرا سهلا[٢].

---

[١] جريدة القبس الكويتية – ١/ ٣ / ٢٠٠٨.

[٢] فرانكلين روزفلت والتعاون الروسي/ الأميركي – (مقال) – فيكتور سوبيان، بروفسور، نائب مدير معهد الولايات المتحدة الأميركية وكندا التابع لأكاديمية العلوم الروسية – ٢/ ٢/ ٢٠٠٢ – الموقع الإليكتروني لوكالة نوفوستي للأنباء الروسية.

وقد أظهرت مجريات مؤتمري طهران ويالطا لزعماء الدول العظمى الثلاث، والرسائل المتبادلة بين روزفلت وجوزيف ستالين أنه كان ديبلوماسيا ماهرا وأفضل بكثير من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرتشل، فقد عرف كيف يجد لغة مشتركة وتفاهما متبادلا مع الزعيم السوفياتي، رغم ظهور مناقشات حامية بما فيه الكفاية. وكان روزفلت نصيرا للتعاون وأحد المبادرين لتأسيس منظمة الأمم المتحدة، وآلية عمل مجلس الأمن الدولي المستند إلى اتخاذ القرارات بالتوافق بين الأعضاء الدائمين فيه التي حسب رأيه كان يتعين أن تضمن السلام الثابت والموثوق[1].

ومن الملامح المهمة في رحلة فرانكلين روزفلت أنه قاد قاطرة أميركا من كرسي متحرك طيلة ٢٢ عاماً وهو ملمح سيتعرض له في حواره مع الملك عبد العزيز بن سعود، وهو رغم هذه الحقيقة ظفر بلقب أعظم رئيس في تاريخ أميركا، متحديا إعاقة الشلل، ومن كرسي متحرك قاد حملة انتخابية قوية حملته إلى كرسي الرئاسة ثلاث مرات متتالية وقد شكل عام ١٩٢٠ منعطفا إيجابيا في حياة روزفلت حيث اختاره الحزب الديمقراطي لتولي منصب نائب الرئيس، وفي العام التالي بدأ فرانكلين يطلق العنان لطموحاته السياسية، لكن الشلل باغته فعطل ساقيه عن الحركة، ولم يكن فرانكلين وحيدا بمصابه، حيث كانت أميركا بكاملها تئن تحت وطأة الشلل الذي أودى بحياة الكثيرين، وعجز الأطباء عن إيجاد دواء له[2].

وقرر روزفلت أن ينتقل مع عائلته إلى جزيرة كامبو بيلو الكندية، لكن قدرا مشؤوما كان ينتظره، حيث تلقى خبر إعاقته بعدما فقد سيطرته نهائيا على ساقيه وهو

---

[1] فرانكلين روزفلت والتعاون الروسي الأميركي – (مقال) – فيكتور سوبيان، بروفسور، نائب مدير معهد الولايات المتحدة الأميركية وكندا التابع لأكاديمية العلوم الروسية – ٢/ ٢/ ٢٠٠٢ – الموقع الإليكتروني لوكالة نوفوستي للأنباء الروسية.

[2] فرانكلين روزفلت: قاد قاطرة أميركا من كرسي متحرك طيلة ٢٢ عاماً – إسماعيل طلاي – جريدة العرب القطرية – ٤/ ٣/ ٢٠٠٨.

لم يتجاوز سن الـ ٣٩. وعلى خلاف تنبؤات الكثيرين ممن شككوا في قدرته على مقاومة المرض، وظنوا أنه سيودع أحلامه السياسية ويستقل ببيته، قرر فرانلكين مدعوما بإرادة قوية من زوجته أن يجعل من الأزمة همّه، فدعم الأبحاث والدراسات للوصول إلى علاج للشلل. كما أطلق روزفلت العنان لطموحاته بوتيرة أكبر وأكثر من أي وقت مضى، فأعلن عام ١٩٢٨ ترشحه لمنصب حاكم ولاية نيويورك وتخطّى الانتخابات بسهولة، ثم ترشح عام ١٩٣٢ لرئاسة الحزب الديمقراطي وهو لم يخف يوما طموحه في الوصول لهذا المنصب، وكان له ما أراد فدخل البيت الأبيض من بابه الواسع.

"أسد وثعلب" وصف أُطلق على روزفلت الذي عرف كيف يخرج بلاده من أزمة اقتصادية خانقة، وقاد الديمقراطيين بعد ذلك لتحقيق الأغلبية المريحة في الكونغرس، قبل أن يتجرأ على كسر حياد الولايات المتحدة وأدخلها في أتون حرب عالمية ثانية، خرجت منها كأول قوة تقود قاطرة العالم. عرف الرجل القوي على كرسي متحرك كيف يقود قوافل جيوشه، ففرض حظرا بتروليا على اليابان ومنع تصدير الحديد إليها، تضامنا مع حليفتيه بريطانيا وروسيا، وأدى هذا القرار إلى مهاجمة اليابان القطع البحرية الأميركية في ميناء بيرل هاربر في المحيط الهادي في ديسمبر ١٩٢١، ولم يتوقف روزفلت عند هذا الحد، بل كان يبحث عن سيطرة أبدية لبلاده على موازين القوى في العالم، فأمر بتطوير الأبحاث المتعلقة بالقنبلة النووية التي استخدمتها أميركا ضد اليابان. ووسط المعارك الطاحنة تلك كان روزفلت يتابع بأمل يائس البحوث التي كانت تنجز لإيجاد علاج للشلل، ولكن الموت فاجأه عام ١٩٤٥ بفعل نزيف في الدماغ. وفي ٢٢ أبريل ١٩٥٥ في الذكرى العاشرة لرحيل روزفلت، زف الأميركيون للعالم نجاح التجارب والعثور على دواء مضاد للشلل.

أمضى روزفلت ٢٢ عاما في البيت الأبيض، ليكون أول وآخر رئيس أميركي ينجح في الاحتفاظ بمنصبه لثلاث فترات رئاسية متتالية، لم يخرجه منها إلا الموت[(١)].

لم يعانِ روزفلت الذي وُلد في ٣٠ يناير ١٨٨٢ طفولة قاسية، فقد كان الرجل سليل عائلة أرستقراطية ميسورة الحال، استوطنت نيويورك، ومنها نبغ فرانكلين وزوجته إليانور التي صُنفت بين أبرز ٢١ امرأة في تاريخ أميركا، حاز فرانكلين شهادات علمية متقدمة من جامعة هارفارد، واستهل حياته السياسية من الخدمة العمومية، حيث بدأ يكشف عن ميوله السياسية، وتولى أول مهمة كمساعد لوزير الأسطول خلال الحرب العالمية الأولى[(٢)].

ومن المفارقات أن فرانكلين روزفلت شغل قبل الرئاسة منصبين سبقه إليهما عمه الرئيس الأمريكي الخامس والعشرون تيودور روزفلت الذي انتخب عام ١٩٠٤ بأغلبية غير مسبوقة وكان عمره ٤٣ سنة ليعد أصغر من تولى المنصب في تاريخه حتى هذا التوقيت. وحسب مكسيم أ. أريمبروستر فإن أعظم شيء عمل لصالح روزفلت في انتخابات الرئاسة ١٩٣٢ هو اسمه إذ تذكر الأمريكيون عمه والأغلبية الأسطورية التي أحرزها[(٣)].

وقد أعلن روزفلت في حملته الانتخابية الأولى عزمه على مساعدة اليهود في إنشاء دولة يهودية في فلسطين. كما رحب بالقرار الصادر عن المؤتمر الاستثنائي

---

(١) فرانكلين روزفلت: قاد قاطرة أميركا من كرسي متحرك طيلة ٢٢ عاماً – إسماعيل طلاي – جريدة العرب القطرية – ٤/ ٣/ ٢٠٠٨

(٢) فرانكلين روزفلت: قاد قاطرة أميركا من كرسي متحرك طيلة ٢٢ عاماً – إسماعيل طلاي – جريدة العرب القطرية – ٤/ ٣/ ٢٠٠٨.

(٣) نظرة جديدة إلى رؤساء الولايات المتحدة – مكسيم أ. أريمبروستر – ترجمة: لجنة من الأدباء – منشورات شركة الكتاب اللبناني – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٦٤ – من ص ١٤١ إلى ١٤٤، وص ١٧٧.

الذي عقده يهود أميركا في نيويورك (١١ مايو ١٩٤٢) وقرروا فيه جعل فلسطين دولة يهودية بعد إخراج العرب منها. وتولى روزفلت الرئاسة للمرة الأولى في ظرف داخلي شديد الصعوبة وقرر من البداية المواجهة الشاملة لأزمة الكساد الاقتصادي التي كانت قد بلغت ذروتها، وكان أول عمل قام به إصدار أمر تنفيذي بإغلاق جميع البنوك. وبعد ذلك دعا روزفلت الكونجرس إلى اجتماع استثنائي عرف فيما بعد باسم "اجتماع المائة" ولم يسبق في تاريخ أمريكا أن تم سن هذا العدد من القوانين المهمة في مثل ذلك الوقت القصير. وبعد أن أمضى الرئيس فرانكلين روزفلت أربع سنوات في منصبه بدت برامجه الإصلاحية واضحة للرجل العادي بحيث أنه نال انتصارا كاسحا فحصل على أصوات الناخبين في ٤٦ ولاية. وفي انتخابات ١٩٤٠ أعاد الحزب الديموقراطي ترشيح فرانكلين روزفلت معلنا أنه الرجل الأوحد القادر على قيادة أمريكا في هذه "المرحلة اليائسة"، وقد وافق الشعب الأمريكي وهكذا خرقت قاعدة الحد الأقصى لتولي منصب الرئيس لأول وآخر مرة في تاريخ أمريكا، وقد انتخب رئيسا أربع مرات متتالية: عام ١٩٣٣، ١٩٣٧، ١٩٤١، ١٩٤٥ ومات قبل أن يكمل فترة رئاسته الرابعة[١].

ومن ناحية الموقف من التطورات الدولية الدراماتيكية فإن الشعب الأمريكي كان يعارض دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية، وحسب إحصاء أجري آنذاك كان ٨٥ % يعارضون دخول أمريكا الحرب، وفي الوقت نفسه كان فرانكلين روزفلت لا يخفي تعاطفه الشديد مع موقف معسكر "الحلفاء" الذي كانت تقوده بريطانيا، وفي أغسطس ١٩٤١ اجتمع مع رئيس الوزراء

(١) نظرة جديدة إلى رؤساء الولايات المتحدة – مكسيم أ. أريمبروستر – ترجمة: لجنة من الأدباء – منشورات شركة الكتاب اللبناني – لبنان – الطبعة الأولى – ١٩٦٤ – من ص ١٧٨ إلى ص ١٨٢، وموقع قناة الجزيرة الفضائية على شبكة الإنترنت.

البريطاني ونستون تشرشل – والمفارقة أنهما اجتمعا على ظهر سفينة – ووضا مجموعة المبادئ التي سميت "ميثاق الأطلسي" واتفقا على إنشاء "تحالف عسكري"[1].

الملك:

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (١٢٩٣ – ١٣٧٣ هـ / ١٨٧٧ – ١٩٥٣ م) أسس المملكة العربية السعودية وتولى حكمها حتى وفاته عام ١٩٥٣. ولأنه الملك المؤسس فإن حياته ترتبط بتاريخ المملكة، ويرجع تأسيسها كدولة حديثة إلى عام ١٩٣٢ ولكن بدايتها ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر بظهور الدعوة الوهابية في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ازدهرت الدعوة الوهابية خلال القرن الثامن عشر. وبتحالف بين الدين على يد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب والسياسة على يد عبد العزيز آل سعود قامت الدولة السعودية الأولى (١٧٤٧ – ١٨٠٦م)[2].

وفي إطار الصراعات الإقليمية كانت الدولة العثمانية تخشى نفوذ الحركة الوهابية وآل سعود ولمواجهة هذا الصعود قام محمد علي باشا والي مصر بحملات عسكرية متوالية بين عامي ١٨١١ و ١٨١٨ م أفضت إلى تقويض الدولة السعودية الأولى. وهكذا تشتت آل سعود في الفترة من ١٨١٨ إلى ١٨٣٥، ورغم ما شهدته منطقة نجد، التي كانت معقل نفوذهم، من فوضى وحروب أهلية فإن آل سعود

---

[1] المصدر السابق – ص ١٨٢ – ١٨٣.

[2] العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٢٩ – ٣٠.

استطاعوا إعادة فرض نفوذهم حتى عام ١٨٩٢ وسميت هـذه الفتـرة "الدولـة السعودية الثانية"[١].

وجاءت نهاية الدولة السعودية الثانية عام ١٨٩٢ عندما قام أمير من شمال نجد يسمى ابن رشيد بالقضاء على الدولة السعودية. وكانت الشخـصية الرئيـسة في استرجاع نفوذ آل سعود في نجد وبالتالي تكوين الدولة السعودية كان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي ولد عام ١٨٨٠ بعد أن كان التحالف الديني السياسي أعاد فرض النفوذ الوهابي في نجد، وبعد خروج آل سعود من نجد وانهيـار الدولـة السعودية الثانية بدأت رحلتهم إلى قطر ثم البحرين ثم استقر بهم المقام في الكويـت نهاية عام ١٨٩٢م[٢].

وفي الخامس من شوال ١٣١٩ هـ (١٤ يناير ١٩٠٢) اتجه عبد العزيز بن سعود (كان عمره ٢٢ عاما) إلى مدينة الرياض ومعه حوالي أربعين رجلا ودخلـوا الرياض سرا وحاصروا بيت ابن رشيد وقتلوه عند خروجه لصلاة الفجر وأعلنوا من مئذنة المسجد رجوع آل سعود إلى حكم الرياض[٣].

---

[١] العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعـة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٣٠.

[٢] العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعـة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٣١.

[٣] أبطال آل سعود – الدكتور حمد الزيد – دار الأمين للنشر والتوزيع – مـصر – الطبعـة الأولى – ٢٠٠٤م – ١٤٢٥ هـ – ص ١١٩ – و العلاقات الأمريكية الـسعودية – دكتـور محمـد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٣١.

وبين عامي ١٩٠٢ و١٩٢٥ خاض عبد العزيز بن سعود معارك عديدة لتوحيد المملكة حتى تسليم المدينة المنورة عام ١٩٢٥[١].

[١] أبطال آل سعود – الدكتور حمد الزيد – دار الأمين للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤م – ١٤٢٥ هـ – ص ١٢١ – ١٢٢.

المملكة والغرب: نظرة عامة

منذ وقت مبكر أدرك عبد العزيز بن سعود تأثير العامل الخارجي في السياسة الداخلية، فالدولة السعودية الأولى قضت عليها العداوة مع العثمانيين مستخدمين محمد علي باشا والي مصر، وكانت بداية احتكاكه الأهم بالقوى الدولية أثناء إقامة آل سعود بالكويت (١٨٩٢ – ١٩٠٢) وقد بدأت علاقاته الدولية أولا بالبريطانيين الذي كانوا مرتبطين بعلاقة وثيقة بآل الصباح حكام الكويت، فحرصت حرصت بريطانيا على علاقتها مع عبد العزيز منذ بدأ مسعاه من الكويت لاسترداد حكم الأسرة السعودية فالتقى عبد العزيز بمسؤولين بريطانيين في تلك الفترة، حيث كانت الكويت تربطها ببريطانيا معاهدة حماية[1].

وقد تعددت الدوائر السياسية التي عنيت بالعلاقات بين بريطانيا والملك عبد العزيز بحيث شملت حكومة الهند ووزارة المستعمرات، وأخيراً وزارة الخارجية البريطانية التي انفردت بتلك العلاقات منذ أن عقد الملك عبد العزيز مع الحكومة البريطانية معاهدة جدة في الثاني عشر من ذي القعدة عام ١٣٤٥هـ/ ٢٠ مايو ١٩٢٧م. وإذا كانت أصول العلاقات السعودية البريطانية ترجع إلى عهد الدولتين السعودية الأولى والثانية فقد اتخذت تلك العلاقات وضعاً جديداً على عهد الدولة

---

[1] الجذور التاريخية للعلاقات السعودية/ البريطانية: عمق تأصل بالصداقة والمصالح المشتركة – طلال الطريفي، مساعد العصيمي، رامي العتيبي – مجلة المجلة اللندنية – ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٧.

السعودية الثالثة وذلك منذ أن استرد الملك عبد العزيز الرياض في الخامس من شوال ١٣١٩هـ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م حتى وفاته عام ١٩٥٣م[١].

وقد بدأ الملك عبد العزيز علاقاته الدولية منذ استرداد إمارته بمحاولة إقامة علاقة بينه وبين الإنجليز؛ إذ أدرك أثناء إقامته بالكويت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أهمية الدور الذي تلعبه بريطانيا في منطقة الخليج، وكان من سعة الإدراك بحيث لم يتجاهل ذلك الدور في علاقته بالحكومة البريطانية؛ إذ أتيح له أن يطلع في خلال تلك السنوات على الأوضاع الدولية مما أكسبه معرفة ودراية لم تسبق لأسلافه الذين عاشوا طوال حياتهم في نجد، كما أتيح له في الوقت نفسه أن يلمس عن قرب مدى قوة بريطانيا وتفوقها على كل من الدولة العثمانية والدول الأوربية الأخرى المنافسة لها "روسيا وألمانيا وفرنسا"، ويمكن القول بصفة عامة: إن مدرسة الكويت السياسية على عهد الشيخ مبارك بن الصباح (١٣١٤ – ١٣٣٤هـ/ ١٨٩٦/١٩١٥م) قد أطلعته على حقائق السياسة الدولية، ودربته على كيفية مواجهة المشكلات الدولية، ولقنته كثيراً من فنون السياسة والحكم. وقد بدأت اتصالات الدولة السعودية الثالثة بالإنجليز بعد أشهر عدة من استرداد الرياض فعلى أثر تأهب الإمام عبد الرحمن الفيصل لمغادرة الكويت في عام ١٣٢٠هـ/ مايو ١٩٠٢م للانضمام إلى ابنه عبد العزيز في الرياض أرسل كتاباً إلى الكولونيل كمبل المقيم البريطاني في بوشهر طالباً إقامة علاقات مع السعوديين بعد أن نجحوا في استرداد إمارتهم، واقترح عقد اتفاقية شبيهة بتلك الاتفاقيات المبرمة مع حكام الخليج، وذكر أن أوسنيكو القنصل الروسي في بوشهر الذي زاره في الكويت عرض عليه المساعدة إذا ما طلب ذلك كتابة غير أنه رفض

---

[١] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية المتخصصة: http://www.darah.org.sa/bohos

العرض الروسي بنصيحة الشيخ مبارك حاكم الكويت. ورغم أن كمبل أوضح لحكومته أن السعوديين قد حققوا انتصارات في نجد إلا أنه توقع أن يشن آل رشيد هجوماً مضاداً، ولذا نصح رؤساءه في حكومة الهند بالتأني في الرد على الرسالة[١].

ولما كان الأمير عبد العزيز بن سعود يشعر بحاجته إلى تأييد الحكومة البريطانية له فقد حاول أن ينتهج سياسة المناورة التي خبرها من الشيخ مبارك حيث كتب رسالة صريحة إلى كمبل أكد فيها أنه من قبيل تفضيل السعوديين للصداقة البريطانية فقد رفضوا عروضاً قدمت إليهم في الكويت من أحد المسؤولين الروس. غير أن المقيم البريطاني قابل هذه الدعوة بفتور بل عمد إلى عدم الرد على هذه الرسالة، وأقرته حكومة الهند على ذلك، وصدرت إليه التعليمات بعدم إظهار أي تشجيع للسعوديين؛ لأن السياسة البريطانية كانت تميل إلى الابتعاد التام عن شؤون نجد الداخلية، وبخاصة أن الأمور لم تكن قد استقرت بها بعد. وفي نوفمبر ١٩٠٣م أجرى بريدوكس الوكيل السياسي في البحرين مفاوضات مع وكلاء ابن سعود ومبعوثيه أسفرت عن اقتناع كيرزون نائب الملك في الهند بأهمية إقامة علاقات رسمية مباشرة مع الأمير ابن سعود، ولكن في هذا الوقت بالذات وبسبب عدم استقرار الأوضاع في أواسط الجزيرة العربية لم تحظ تلك الاقتراحات بالتأييد في لندن. وعقب عودة كيرزون مباشرة من جولته في الخليج العربي التي قام بها عام ١٩٠٣ م أعاد طرح هذا الموضوع من جديد غير أن وزارة شؤون الهند حذرت كيرزون في برقية خاصة بعث بها إليه من إقامة أية اتصالات مباشرة مع الرياض دون تعليمات حكومة لندن[٢].

---

[١] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

[٢] المصدر السابق.

وإزاء ذلك الموقف كانت الحكومة البريطانية في الهند مضطرة – ولو مؤقتاً – إلى التخلي عن خطتها لكنها لم تلبث أن أرسلت في مارس ١٩٠٤م خطاباً إلى لندن لفتت نظرها فيه إلى أن ضعف النفوذ العثماني في الجزيرة العربية واهتمام الدول الأجنبية الزائد بهذه المنطقة سيجبران الحكومة البريطانية بطريقة أو بأخرى على إقامة علاقات مباشرة مع ابن سعود. وخلال الصراع الذي دار بين آل سعود وآل رشيد في القصيم في مارس ١٩٠٤م حاول ابن سعود إزاء تأهب الباب العالي إرسال قوات عسكرية لمساندة ابن رشيد أن ينال في المقابل مساعدة الإنجليز له، ومن أجل ذلك بعث رسالة في ٢ مايو ١٩٠٤م إلى الميجر برسي كوكس الذي وصل إلى المقيمية البريطانية في الخليج أعرب فيها عن احتجاجه الشديد لتدخل العثمانيين في شؤون نجد مؤكداً أنه إذا لم يجد تأييدا من الحكومة البريطانية فإنه سيضطر إلى قبول مساعدة الروس الذين كانوا قد عرضوا عليه مساعدهم من قبل[1].

وقد أثارت رسالة ابن سعود هذه جدلاً كبيراً في الدوائر البريطانية المعنية، أي حكومتي لندن والهند، إذ كانت حكومة الهند البريطانية ترى أنه لا ينبغي أن تظل السياسة البريطانية على لا مبالاتها إذ كان من رأي اللورد كيرزون ضرورة تأييد ابن سعود حتى لا يتحول الموقف لصالح العثمانيين في نجد مؤكداً أن الدولة السعودية أصبحت في ظل قيادة ابن سعود دولة إقليمية غير متعصبة، وأن ابتلاع العثمانيين لنجد عن طريق حلفائهم آل رشيد أمر أسوأ بكثير من التسليم بقيام تلك الدولة الجديدة. وبينما كان اللورد كيرزون يتأهب لإرسال مبعوث من قبله إلى الرياض ليتعرف على حقيقة الأوضاع هناك تلقى تعليمات مشددة من حكومة لندن بعدم اتخاذ أية خطوة للدخول في علاقات مع ابن سعود أو إرسال مبعوثين رسميين إليه، إذ

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

كانت الفكرة الملحة في ذهن الساسة الإنجليز من أمثال جون برودريك وزير الدولة لشؤون الهند والسير نيقولا أوكونور السفير البريطاني في الآستانة أن الأمير ابن سعود لن يكون عوناً للحكومة البريطانية أكثر من أنه سيتفرغ للامتداد بنفوذه إلى سواحل الخليج ومنازعة النفوذ البريطاني هناك. وكانت الدوائر المعنية في حكومة لندن على اعتقاد بأن تاريخ العلاقات البريطانية السعودية يؤكد أن إعادة بناء الدولة السعودية في وسط الجزيرة العربية سوف يؤدي حتماً إلى زيادة الضغوط على الإمارات والمشيخات العربية المطلة على الخليج الواقعة تحت النفوذ الإنجليزي. وإزاء تضارب وجهات النظر توصلت حكومة الهند إلى حل وسط حيث أرسلت تعليماتها إلى الكابتن نوكس الوكيل البريطاني في الكويت بأن يتغاضى عن حركة مرور الأسلحة لصالح ابن سعود، وفي حالة احتجاج الدولة العثمانية فعليه في هذه الحالة أن يطلب منها عدم التدخل في الصراعات الدائرة في نجد بين الأمير ابن سعود والأمير ابن رشيد. وكان من الواضح أن حكومة الهند اتخذت ذلك الموقف خوفاً من انتصار ابن رشيد وما يترتب على ذلك من إتاحة الفرصة للدولة العثمانية للسيطرة على نجد وأواسط الجزيرة العربية ، ومن ثم تهديد المصالح البريطانية في الخليج[1].

وباستيلاء ابن سعود على القصيم كان على الديبلوماسية البريطانية أن تأخذ بعين الحسبان كل هذه التطورات لا سيما أن ابن سعود بعد انتصاره في القصيم أخذ يبدي اهتماماً متزايداً تجاه الإحساء وساحل عمان بهدف إيجاد منفذ له على ساحل الخليج، وكان ذلك مناقضاً للمصالح البريطانية. ومن ثم ظلت حكومة الهند ترقب بعين الحذر تحركات ابن سعود في سواحل الخليج، فعلى إثر توقف المنازعات مؤقتاً بينه وبين ابن رشيد عام ١٩٠٥ م زحف بقواته على شبه جزيرة قطر، وكان ذلك

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية: http://www.darah.org.sa/bohos

استجابة لدعوة تلقاها من الشيخ قاسم بن ثاني الذي كان يعاني اضطرابات داخلية. كما كانت المنازعات ناشبة في الوقت نفسه بين قبائل آل مرة والعجمان، ووجد ابن سعود في تلك الظروف فرصة سانحة لقمع الفوضى في قطر التي كانت تتبع آنـذاك الدولة العثمانية غير أن الشيخ أحمد بن ثاني بادر بتكوين تحالف مع الشيخ زايد بـن خليفة حاكم أبو ظبي مما اضطر ابن سعود إلى التراجع مؤكداً أنه لم يأت إلى قطر إلا لكي يوفق بين قبائل البدو الذين كانوا يتنازعون مع شيوخ قطر، وكان ذلك تصرفاً ذكياً من ابن سعود لكي يظهر أمام الإنجليز بمظهر المحب للأمن والنظام، ورغم ذلك فقد ظلت الشكوك تراود الإنجليز وبخاصة حين وجّه مكاتبات إلى رؤساء الساحل المهادن يبلغهم فيها بنجاحه في التوفيق بين قبائل البادية، وعن عزمه زيارة مشيخاتهم في الربيع التالي. وكان من الطبعي أن تحدث تلك المكاتبات قلقاً شديداً لدى الدوائر البريطانية إضافة إلى ما أثارته من توتر لدى الشيخ زايد بن خليفة الذي أعرب للسيد فيصل بن تركي سلطان مسقط عن مخاوفه من تلك الزيارة التي يعتزم ابـن سـعود القيام بها إلى شيوخ الساحل، بينما بادر برسي كوكس بإرسال تعليماته إلى الكـابتن نوكس الوكيل البريطاني في الكويت للاتصال بالشيخ مبارك حاكم الكويت لكـي يؤكد له أن الزيارة التي يعتزم ابن سعود القيام بها إلى إمارات تربطهـا بالحكومـة البريطانية اتفاقيات ومعاهدات خاصة أمر لا يروق للحكومة البريطانية، ولا تنظر إليه بعين الارتياح. كما طلب كوكس من الوكيل البريطاني في الكويت أن يستعلم مـن الشيخ مبارك عما إذا كان ابن سعود لا يزال حريصاً علـى التمسك بتعهـدات أسلافه، وكان يعني بذلك التصريح الذي أدلى به الإمام عبد الله بن فيـصل عـام ١٨٦٦م إلى الكولونيل لويس بلي المقيم البريطاني في الخليج آنذاك الذي كان ينص على تعهد السعوديين بعدم التدخل في شؤون الإمارات التي لها علاقـات تعاهديـة خاصة مع الحكومة البريطانية، وقد أجاب ابن سعود على تلك الاستفسارات مؤكداً حسن نواياه تجاه الحكومة البريطانية والتزامه التام بتعهدات أسلافه، وطلـب مـن

الشيخ مبارك إبلاغ المقيم البريطاني في الخليج بأنه لا ينوي القيام بأية أعمال تعدها الحكومة البريطانية غير ودية، وأكثر من ذلك فقد أعلن إلغاءه لتلك الزيارة التي كان يزمع القيام بها لرؤساء الساحل العماني؛ ومن الواضح أن اتجاهات ابن سعود السياسية في تلك الآونة كانت حريصة على عدم تحدي النفوذ البريطاني في الخليج في الوقت الذي كان فيه في حاجة ماسة إلى توطيد مركزه في نجد ضد الدولة العثمانية وحلفائها من آل رشيد[١].

ورغم النوايا الطيبة التي أفصح بها ابن سعود إزاء العلاقات بينه وبين الإنجليز إلا أن الدوائر البريطانية سواء في حكومة الهند أو في حكومة لندن لم تبادل ابن سعود تلك النوايا الحسنة، وذلك باستثناء برسي كوكس الذي بدأ يقدر حقيقة وضع ابن سعود، ومن ثم تولى على عاتقه رسم سياسة جديدة لعرضها على حكومة الهند التي ضمَّنها في رسالة بعث بها إليها في ١٦ سبتمبر ١٩١٦م أبرز فيها الفوائد التي تنجم عن عقد اتفاقية مع الأمير عبد العزيز بن سعود، ورغب كوكس في أن يبرز لرؤسائه النتائج المنطقية للسياسة المترددة التي تتبعها الحكومة البريطانية إزاء ابن سعود فأخبرهم بأنهم لن يتمكنوا في الواقع من حماية الزعماء في جزء كبير من سواحل الجزيرة العربية في الوقت الذي لا يبالون فيه بالأحداث التي تجري في الداخل ولا يمكن لمثل هذه السياسة أن تصيب نجاحاً إلا إذا شل زعماء الداخل بعضهم بعضاً بانقساماتهم ومنازعاتهم كما كان يحدث ذلك في الماضي، أما إذا وجدوا قائداً فلا بد للإنجليز في هذه الحالة من إنشاء علاقات معه، وقد ظهر هذا القائد الآن[٢]!!.

---

[١] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

[٢] المصدر السابق.

وليس من شك في أن برسي كوكس – الذي أخذ يرتبط فيما بعد بصداقة حميمة مع ابن سعود – كان أول ديبلوماسي بريطاني يتنبأ بأن ابن سعود سيسيطر على سياسة جزيرة العرب كما كان أول من نبَّه رؤساءه في حكومة الهند إلى أهمية كسب صداقة ابن سعود التي أصبحت كلمته هي القانون في الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية. وقد مضى وقت طويل والدوائر البريطانية في كل من حكومتي الهند ولندن تدرس اقتراحات برسي كوكس، وخلال تلك الحقبة لم تنقطع اتصالات ابن سعود بالإنجليز وقد حدث ذلك في مناسبات عدة. غير أن اختلاف الرؤى السياسية بين حكومتي لندن والهند عرقل الوصول إلى أي اتفاق مع ابن سعود فعلى حين بدأت حكومة الهند البريطانية تتفهم بعض الشيء أوضاع ابن سعود وتتجه إلى مساندته أبدت حكومة لندن اعتراضها على تلك السياسة، وكان ذلك بناء على نصيحة السير نيقولا أوكونور السفير البريطاني في الآستانة الذي أكد أن سيطرة العثمانيين على الإحساء أمر أخف وطأة من سيطرة ابن سعود؛ إذ إنه لن يكون عونا للحكومة البريطانية بقدر ما سوف يعمل على الامتداد بنفوذه إلى إمارات الخليج الخاضعة للحماية البريطانية. واستجابة لتلك النصائح استمرت حكومة لندن في موقفها الذي كان يقضي بعدم مساندة ابن سعود؛ إذ إن ذلك سيؤثر على العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية، ومن ثم أصدرت الخارجية البريطانية تعليماتها إلى حكومة الهند بأن المصالح البريطانية لا ينبغي أن تتعدى مناطق نفوذها في سواحل الخليج العربي. ورغم الموقف المعارض الذي اتخذته حكومة لندن إلا أن ابن سعود لم يكف عن الاتصال بحكومة الهند التي كانت أكثر تفهماً لمطالبه حيث حاول عن طريق الشيخ مبارك في أغسطس ١٩٠٦م إقناع الكابتن نوكس الوكيل البريطاني في الكويت بمزايا استرداده الإحساء من الدولة العثمانية، وأنه يتعهد إذا ما تحقق له ذلك بعدم المداخلة في الإمارات المرتبطة بعلاقات تعاهدية خاصة مع الحكومة البريطانية. وتشير بعض المصادر إلى أن ابن سعود قدم اقتراحاً يقضي بالتفاهم سراً مع الحكومة البريطانية التي

تقدم له الحماية إذا نجح في طرد العثمانيين من الإحساء مقابل ارتباطه بمعاهدة معها على غرار المعاهدات التي عقدها مع رؤساء الساحل العماني وموافقته على تعيين ممثل لها في ممتلكاته، أما إذا فشل في استرداد الإحساء فإنه لن يخون الاتفاق السري بينه وبين الحكومة البريطانية. ورغم أن هناك مصادر أشارت إلى أن اقتراح ابن سعود قدر له أن ينفذ عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م حيث وقعت في ذلك التاريخ اتفاقية بين الطرفين وافقت فيها الحكومة البريطانية على عدم معارضة ابن سعود في ضم الإحساء، وأن تمنع عنه أي عدوان يأتي إليه من جهة البحر مقابل تنازله عن حقوقه التاريخية في مسقط والساحل العماني إلا أننا لم نجد ما يؤيد توقيع تلك الاتفاقية، وعلى العكس من ذلك فقد ظل موقف الدوائر البريطانية معارضاً لإقامة علاقات مباشرة مع ابن سعود أو إتاحة الفرصة له للسيطرة على الإحساء خشية تهديد نفوذها في إمارات الساحل العماني[1].

وبصدد ذلك صرح جون مورلي، وكان متولياً وزارة الدولة لشؤون الهند في أنه لا ينبغي أن تقوم أية علاقة رسمية مع ابن سعود مخافة أن يؤدي ذلك إلى زيادة في تعقيد الموقف الدولي، وبخاصة في الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات بين الدولة العثمانية والحكومة البريطانية بخصوص توزيع مناطق النفوذ في الخليج والجنوب العربي وبين بريطانيا وألمانيا بشأن امتداد خط سكة حديد بغداد إضافة إلى المشكلات القائمة بين بريطانيا وروسيا بشأن توزيع مناطق النفوذ في فارس وأفغانستان وأواسط آسيا. ومن ثم كتب جون مورلي إلى حكومة الهند بأن تقصر اهتمامها على سواحل الخليج دون التطلع إلى ما يحدث من صراعات داخل نجد وأواسط الجزيرة العربية مؤكداً أنه من غير المنطقي أن تتجه حكومة الهند إلى مساندة ابن سعود في الوقت الذي تعترف

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

فيه حكومة لندن بخضوع الإحساء للدولة العثمانية. كما أبدت حكومة لندن اعتراضها على صيغة الرد التي أعدتها حكومة الهند على رسائل ابن سعود، وكان يتضمن أنه مع رغبة الحكومة البريطانية في توثيق العلاقات الودية مع ابن سعود طالما هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع أمراء الساحل المهادن إلا أنها لا تستطيع أن تقدم له وعداً رسمياً بالحماية؛ لأن ذلك قد يحرض الدولة العثمانية على مناوءته. وأنه إذا كان لا بد للمقيم البريطاني في الخليج أن يعطي جواباً فله أن يبلغ وسطاء ابن سعود أن عروض ابن سعود تنطوي على اعتبارات ترى حكومة جلالة الملك استحالة قبولها في الوقت الحاضر، وإذن فليس له أن يتوقع استجابة لها. وأعقب تلك الاتصالات سنوات عدة لم يفكر ابن سعود في خلالها معاودة الاتصال بالإنجليز حيث قضى تلك الحقبة في جهود دائبة لإقرار نفوذه في داخل نجد، وإضعاف قوة خصومه ومعارضيه، وبناء قوة عسكرية محاربة بعد أن أصاب قواته وهن شديد لطول القتال المتواصل بينه وبين آل رشيد من ناحية وبينه وبين القبائل المناوئة له من ناحية أخرى[1].

وفي جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ (١٣ أبريل ١٩١٣م) أقبل الأمير ابن سعود على خطوة مهمة معتمداً على جهوده الذاتية في استرداد مقاطعة الإحساء دون أن يلجأ إلى طلب الحماية أو المساعدة من الحكومة البريطانية، كما حاول ذلك في الماضي. ومن الواضح أن إقدام ابن سعود على تلك الخطوة كان مدفوعاً إليها بدوافع متعددة فبالإضافة إلى حاجته الملحة إلى منفذ بحري لربط نجد بالعالم الخارجي فإن الإحساء صارت ملجأً للخارجين عليه. ومن المؤكد أن ابن سعود في استرداده للإحساء كان متتبعاً للتطورات الدولية التي لم تكن في صالح الدولة العثمانية أهمها خروجها منهكة من حرب ليبيا وثورات البلقان، ومن ثم كانت الدولة العثمانية

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

مضطرة إلى إنقاص حامياتها العسكرية في الإحساء بحيث لم تعد تتعدى سوى بضع مئات من الجنود. والأهم من ذلك أن أنباء المباحثات العثمانية الإنجليزية التي كانت تجري في لندن بين عامي ١٣٢٩ – ١٣٣٢هـ/ ١٩١١/١٩١٣م بخصوص توزيع مناطق النفوذ في الخليج العربي قد وصلت إلى أسماع ابن سعود فخشي أن يتقرر شيء بالنسبة للإحساء يقطع عليه سبيل المستقبل، ولذلك قرر أن يسبق سير المباحثات ليسترد الإحساء ، ويتيح لإمارته منفذاً على البحر. فبادر في ٥ جمادى الأولى من عام ١٣٣١هـ/١٣ أبريل ١٩١٣م بشن غارة مفاجئة على الحامية العثمانية في الإحساء حيث سارع أفرادها بالفرار إلى البحرين حيث سمح لهم الإنجليز باللجوء إليه. ويذكر برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج أن ابن سعود أرسل إليه خطاباً شكا فيه من سماح السلطات البريطانية للعثمانيين باستعمال البحرين قاعدة لهم مؤكداً في الوقت نفسه أنه راغب أشد الرغبة في أن يرتبط بالحكومة البريطانية بعلاقات ودية، وحين اطمأنت الحكومة البريطانية إلى صلابة موقف ابن سعود أخذت تغير من موقفها إزاءه، وتعمل على كسبه إلى جانبها غير أنها ظلت لا تستطيع أن تقدم له مساندة صريحة، وذلك باستثناء وقوف السلطات البريطانية في الخليج ضد حملة عسكرية أرسلتها الدولة العثمانية لمحاولة استرداد الإحساء، ولم يكن وقوف السلطات البريطانية ضد هذه الحملة من أجل حماية ابن سعود، وإنما من أجل المحافظة على أمن الخليج؛ إذ كان موقف الحكومة البريطانية الرسمي لا يزال قائماً على عدم الاعتراف بسيطرة ابن سعود على الإحساء في الوقت الذي اعترفت فيه في الاتفاقية الإنجليزية العثمانية الموقعة في ٢٩ يوليو ١٩١٣م بسنجق نجد العثماني الذي يشكل إقليم الإحساء جزءا منه. ولعل مما يثير الانتباه أكثر مما يبعث على الدهشة أن الاتفاقية العثمانية الإنجليزية رغم أنه وقع عليها بعد بضعة أسابيع من استرداد الإحساء إلا أنها لم تراع المركز الجديد الذي وصل إليه ابن سعود![1]

(١) المصدر السابق.

ليس من شك في أن ابن سعود بعد الاستيلاء على الإحساء أصبح في مركز دقيق وفي ملتقى التيارات السياسية المختلفة فبريطانيا أصبحت جارة له من جهة الشرق والشمال الشرقي، والدولة العثمانية تتودد إليه في الظاهر، وإن كانت لا تزال تشجع خصومه من آل رشيد، وتمدهم بالمال والسلاح كما كانت تنظر بعين الارتياح إلى المناوشات التي كان يقوم بها ضده الشريف حسين من جهة الغرب. ولعل أهم النتائج التي ترتبت على استرداد ابن سعود للإحساء أنه استطاع أن يوجد منفذاً لإمارته على البحر مما ساعده على الاتصال مباشرة بالإنجليز بل يمكن القول: إن الإنجليز بعد استيلائه على الإحساء هم الذين أخذوا يوجهون اهتمامهم إليه، ومع أن الحكومة البريطانية ظلت تستشعر حرجاً في إيجاد اتصالات رسمية بينها وبين ابن سعود نتيجة عقدها الاتفاقية الإنجليزية العثمانية إلا أن المصالح البريطانية فرضت عليها تحقيق ذلك الاتصال، وذلك لضمان موقفه تجاه مناطق نفوذها في إمارات الساحل العماني والمحافظة على الهدنة البحرية، وقمع تجارة الرقيق. ورغم أن ابن سعود أصبح يشكل قوة عازلة بين الإمارات الواقعة في ذلك الساحل والنفوذ العثماني في الشمال إلا أن الحكومة البريطانية ظلت مع ذلك في حالة قلق متزايدة من احتمال توسعه في تلك الإمارات، ومن ثم كانت المصلحة البريطانية تقتضي اجتذابه لصداقتها، وإن كانت قد حرصت على أن تكون اتصالاتها به سرية عن طريق وكلائها في الكويت والبحرين. وهكذا أصبحت بريطانيا هي التي تسعى إليه وإن كان احتمال عقد اتفاقية معه قد طرح جانباً؛ لأن الحكومة البريطانية كانت لا تزال – رغم من اقتراب نذر الحرب العالمية الأولى – تفضل تهدئة العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية تخوفاً من مركزها الديني[1].

---

[1] المصدر السابق.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دول الوسط (ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر) أخذت الدوائر البريطانية تبحث عن الزعيم الذي يستطيع قيادة العرب ضد الدولة العثمانية، وقد اختلفت دوائر الهند ولندن فيما بينها عمن تنصبه على تلك الزعامة، فبينما كانت الدوائر البريطانية في الهند تركز على ابن سعود لكونه صاحب نفوذ واسع في نجد والإحساء كانت الدوائر البريطانية في القاهرة ولندن تركز على الشريف حسين لمركزه الديني وانتمائه إلى السلالة النبوية الشريفة، وذلك لمناهضة دعوى الجهاد الديني المقدس التي بدأت الدولة العثمانية في إطلاقها ضد الإنجليز وحلفائهم. ولقد كان ابن سعود من الذكاء بحيث أدرك أن حكومة الهند لا تتطلب منه القيام بأكثر من نشاط محلي يستهدف إضعاف قوة العثمانيين بضرب حلفائهم من آل رشيد، وعدم تمكينهم من تهديد الجناح الأيسر للقوات البريطانية في زحفها على البصرة، ولعل إدراك ابن سعود لتلك الحقيقة هو الذي دفعه لرفض العروض البريطانية التي قدمت له بإعلان الحرب على الدولة العثمانية، والقيام بهجوم على الشام والعراق، وكان موقفه في الحرب أقرب ما يكون إلى الحياد، فإلى جانب رفضه مشاركة الإنجليز في محاربة العثمانيين رفض أن يحارب الشريف حسين كما أراد منه العثمانيون. ولم يلبث أن أدرك الإنجليز أن مصلحتهم تتفق إلى حد كبير مع مصلحة ابن سعود، ومن ثم كانت بعثة الكابتن شكسبير الوكيل البريطاني في الكويت إلى الرياض. ورغم أن شكسبير وجد رفضاً صريحاً من ابن سعود في إعلان وقوفه في الحرب إلى جانب الإنجليز إلا أنه استطاع خلال إقامته بالرياض أن يتفهم مشكلات ابن سعود، ويبدو ذلك من رسالة بعث بها إلى برسي كوكس في ١٦ يناير ١٩١٥م أشار فيها إلى القلق المتزايد الذي أخذ ينتاب ابن سعود الذي أكد له حرصه على صداقة الإنجليز، ولكنه ألمح في الوقت نفسه إلى عواطفه الدينية تجاه دولة الخلافة الإسلامية. وحسماً لذلك فإنه يطالب بعقد

معاهدة بينه وبين الإنجليز؛ لأن موقفه غير المحدد قد يسبب له حرجاً إذ قد يضطر في هذه الحالة إلى اتخاذ موقف قد يكون في صالح العثمانيين[1].

وقد استمرت المباحثات بين ابن سعود وشكسبير بضعة أسابيع، وقبل أن تؤتي ثمرها قتل شكسبير في معركة جراب (يناير ١٩١٥ م) بين ابن سعود وابن رشيد التي لم تنته بنصر حاسم لأي من الطرفين المتصارعين، وكما يؤكد الجنرال جلوب أن هذه المعركة لو انتهت بنتيجة إيجابية لكان من الممكن لابن سعود وشكسبير أن يلعبا دوراً في الحرب العالمية الأولى لا يقل أهمية عن الدور الذي لعبه كل من لورانس والأمير فيصل بن الحسين. كان وضع ابن سعود غير المستقر الذي ترتب على معركة جراب ومقتل شكسبير سبباً في عدم عقد معاهدة بين ابن سعود والإنجليز، ومع ذلك فقد ظلت فكرة عقد معاهدة بين الطرفين تراود برسي كوكس – الذي أصبح مع نشوب الحرب العالمية الأولى ضابطاً سياسياً في حملة العراق – وذلك لتقديره أهمية مركز ابن سعود، ومن ثم استؤنفت اتصالات غير مباشرة فيما بينهما أسهم في تعزيزها عبد اللطيف بن منديل ممثل ابن سعود في البصرة. وعلى أثر موافقة حكومة الهند البريطانية على طلب برسي كوكس بأن الضرورات العسكرية تقتضي عقد معاهدة مع ابن سعود أبحر كوكس من البصرة إلى العقير وعلى إحدى الجزر الصغيرة القريبة من ذلك الميناء، وهي جزيرة دارين تمت المقابلة بينه وبين ابن سعود في ١٣٣٤ هـ/ نوفمبر ١٩١٥م، وكانت هذه أول مرة يلتقي فيها ابن سعود برسي كوكس، وإن كانا قد دخلا قبل ذلك في مفاوضات ومراسلات كثيرة، وفيما يبدو أن كلاً منهما قد أعجب بشخصية الآخر. وقد أكد ابن سعود لبرسي كوكس أن الولاة الذين يعينهم في الإحساء لديهم تعليمات مشددة برعاية المصالح البريطانية. وفيما يقال: إن

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

برسي كوكس انتهز فرصة اجتماعه مع الأمير ابن سعود ليعرض عليه منصب الخلافة ولكن ابن سعود كان من الذكاء وبعد النظر بحيث خشي أن يجره قبول ذلك المنصب إلى عداء من قبل الأمراء العرب، وفي ١٧ من المحرم ١٣٣٤ هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٩١٥م وبعد محادثات قصيرة وُقع على معاهدة دارين، وقد ظلت هذه المعاهدة سارية المفعول، وإن أدخلت عليها بعض التعديلات حتى استبدلت بمعاهدة جدة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧ م[1].

وقد كان للمعاهدة أثر واضح في إحباط مشروع يهودي كان يقضي بإنشاء دولة يهودية في البحرين والإحساء. ويرتبط هذا المشروع بالدكتور م.ل. روتشتين وهو طبيب يهودي من رعايا روسيا القيصرية وعضو مجمع الحاخامات اليهودي الذي عرض مشروعه هذا على السير فرنسيس بارتي سفير بريطانيا في باريس في ١٢ سبتمبر ١٩١٧م. وكان هذا المشروع يقضي بأن تقوم دول الوفاق الثلاثي (إنجلترا، فرنسا، روسيا) بإعداد جيش من اليهود وتنظيمه يوضع تحت قيادته، ويكون الغرض من إعداده المشاركة في الحرب عن طريق غزو مقاطعة الإحساء، وإنشاء دولة يهودية تضم إليها المقاطعات الشمالية من الخليج على أن تستثنى الكويت من حدود الدولة المقترحة. وقد بادر السير فرنسيس بارتي بإرسال المشروع المقدم إليه إلى وزارة الخارجية البريطانية التي كان يدير شؤونها في ذلك الوقت أرثر بلفور. ولما كانت الحكومة البريطانية قد عقدت اتفاقية دارين مع ابن سعود، واعترفت له فيها بملكيته للإحساء إضافة إلى أن السياسة البريطانية كانت تخطط في ذلك الوقت بالذات مع الصهيونية العالمية لإنشاء دولة عبرية في فلسطين فقد رفض بلفور المشروع المقدم إليه وبادر بإرسال تعليماته إلى السفير البريطاني في باريس التي كانت تقضي بالاعتذار

---

[1] العلاقات السعودية البريطانية في منطقة الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز بن سعود – الجمال زكريا قاسم – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية:
http://www.darah.org.sa/bohos

للدكتور روتشتين بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تضع مشروعه في موضع التنفيذ. ومشروع روتشتين يبدو واضحاً أنه تجاهل الوضع الذي أصبح عليه الأمير ابن سعود بعد استرداده الإحساء وعقده معاهدة دارين. كما يبدو أيضاً أن مقدم المشروع خفيت عليه حقيقة الأوضاع السياسية في الخليج حيث أشير في المشروع إلى مقاطعة الإحساء باعتبارها مقاطعة عثمانية. والحقيقة أن الحكومة البريطانية لم تكن على استعداد للنظر في هذا المشروع الذي قد يترتب على تنفيذه المساس بوضع ابن سعود فضلاً عن عودة القوى الأوربية التي سبق أن نازعتها النفوذ وهي روسيا وفرنسا إلى منطقة الخليج بعد أن كانت قد نجحت في التخلص من منافستها[1].

وقد أخذت العلاقات تتوثق بين الحكومة البريطانية والأمير ابن سعود على أثر عقد معاهدة دارين، ففي العام الآتي من عقد تلك المعاهدة اجتمع ابن سعود مرة أخرى مع برسي كوكس (نوفمبر ١٩١٦م) وطلب معرفة موقف الحكومة البريطانية إزاء ما أعلنه الشريف حسين في أنه أصبح ملكاً على العرب. وقد أعطى كوكس تأكيدات صريحة لابن سعود بأن استقلاله لن يمس، ودعاه ليأخذ مكانه في الاجتماع الذي تقرر عقده في الكويت ٢٣ نوفمبر ١٩١٦م. وعقب انتهاء مؤتمر الكويت وصل ابن سعود إلى البصرة بدعوة من برسي كوكس وكانت أول مرة يسافر فيها ابن سعود خارج الجزيرة العربية. وفي الاجتماع الذي عقد في البصرة بين ابن سعود وبرسي كوكس اتفق على أن يتسلم ابن سعود مساعدة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه شهرياً إلى جانب تزويده بقدر من السلاح والذخيرة. كما حرص برسي كوكس على استغلال زيارة ابن سعود للبصرة ليعقد اجتماعاً بينه وبين الشيخ فهد الهذال شيخ قبيلة عنزة بغرض أن يتوسط ابن سعود لديه لتأمين المواصلات البريطانية إلى العراق. وفيما يبدو أن وساطة ابن سعود كانت على قدر كبير من الأهمية بحيث

---

[1] المصدر السابق.

قررت حكومة الهند – بناءاً على اقتراح برسي كوكس – زيادة المساعدة المالية التي تصرفها لابن سعود من ٦٠ ألف جنيهٍ إلى مائة ألف جنيهٍ سنوياً، ومن المحتمل أن تكون تلك المساعدات المادية والعينية قد منحت لابن سعود عن طريق اتفاقية جديدة أو على الأرجح بإدخال تعديلات على اتفاقية دارين. وقد استمرت الزيادة في المساعدات البريطانية تقدم لابن سعود حتى دخول الجنرال اللنبي دمشق حيث أعيدت إلى ما كانت عليه سابقاً، بل إنها لم تلبث أن ألغيت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وعلى وجه التحديد في فبراير ١٩٢٤م نتيجة الوضع الاقتصادي المتأزم في بريطانيا إلى جانب ضغوط الرأي العام البريطاني، والأهم من ذلك أن بريطانيا لم تعد في حاجة إلى معاونة ابن سعود[١].

ولما كان ابن سعود مضطراً تحت وطأة الأزمة الاقتصادية العالمية التي انعكست آثارها على المملكة في قلة عدد الحجاج، ومن ثم قلة رسوم الحج التي كانت تشكل مورداً رئيساً من موارد الدولة، فضلاً عن حاجته إلى أموال يستعين بها في تكوين جيش نظامي بعد قمعه لحركة تمرد داخلية أبرزت الحاجة إلى تكوين قوات عسكرية نظامية وبناء مؤسسات وأجهزة حكومية واتباع الأساليب العصرية في الإدارة والحكم، وكل ذلك كان يتطلب مزيداً من الأموال والنفقات، ونتيجة لذلك كله أوفد الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل – الملك فيصل فيما بعد – إلى لندن من أجل السعي في عقد قرض مع الحكومة البريطانية أو مع أحد البنوك البريطانية، ولكنه لم يوفق في مسعاه. كذلك فشلت المحاولات التي قام بها لدى شركات النفط البريطانية حيث رفضت جميعها العرض الذي قدمه لها بشراء امتياز النفط في الإحساء. وعلى أثر يأس ابن سعود من مساعدة الحكومة البريطانية له بدأ يحكم صلته بأحد رجال الأعمال الأمريكيين البارزين في منطقة الشرق الأوسط وهو المستر شارلس كراين

---

(١) المصدر السابق.

الذي حضر إلى جدة بصحبة الكاتب اللبناني المعروف جورج أنطونيوس في بداية عام ١٩٣٣م. ورغم متاعب ابن سعود القريبة العهد مع الإخوان النجديين جعلته يتردد في فتح بلاده للخبراء الأجانب إلا أنه إزاء ضغط الضائقة المالية أعرب عن استعداده لكي يمنح امتياز النفط في بلاده لمن يعرض عليه قدراً من المال بصورة عاجلة. وقدم كراين وعداً من جانبه لابن سعود بأن يرسل إليه خبراء للبحث عن النفط في مقاطعاته الشرقية. ولم يمض وقت طويل حتى وصل ممثل لشركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا، في الوقت الذي أرسلت فيه شركة نفط العراق إلى جدة من يفاوض الملك عبد العزيز بشأن منح امتياز نفط الإحساء للشركة الإنجليزية. وفي النهاية تم التوقيع على اتفاقية استغلال النفط في المقاطعات الشرقية من المملكة العربية السعودية لصالح شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا في عام ١٩٣٣م. ويميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن ابن سعود إنما اختار الشركة الأمريكية؛ لأنها قدمت عروضاً أكثر إغراءاً. وحقيقة الأمر أن العروض الإنجليزية والأمريكية كانت متساوية فيما يتعلق بتقدير قيمة العائدات على الطن الواحد من النفط الخام إلا أن كفة الشركة الأمريكية كانت هي الراجحة، وذلك بعد أن تعهدت بدفع العائدات بعملة يمكن استبدالها بالذهب، على حين عرضت شركة نفط العراق دفع العائدات على أساس الروبية الهندية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الخليج حيث كانت الحكومة البريطانية قد خرجت عن قاعدة الذهب في تقدير عملاتها. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشركة الأمريكية وافقت على تقديم مبالغ مالية مقدماً، وكان ابن سعود في حاجة عاجلة إلى تلك الأموال بعد خروجه منهكاً من توحيد أقاليم الجزيرة العربية. وهكذا فإن المصالح الاقتصادية هي التي دفعت ابن سعود إلى قبول العروض الأمريكية. غير أن هناك باحثين آخرين يرون أن شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا فازت بامتياز الإحساء؛ لأن الملك عبد العزيز فضّل أن يكون الأمريكيون هم الذين يتولون عمليات الاستثمار في بلاده، ولاعتقاده بأن الاقتصاد الأمريكي أقوى من الاقتصاد

البريطاني، ولذلك فإن باستطاعة رؤوس الأموال الأمريكية وشركاتها أن تسهم في تنمية الاقتصاد السعودي على نحو أفضل مما تستطيعه ورؤوس الأموال البريطانية وشركاتها. كما لا يستبعد أيضاً أن تكون هناك ثمة اعتبارات سياسية رجحت كفة الشركة الأمريكية، بينها توتر العلاقات بين ابن سعود والإنجليز. وقد كان كثيراً ما يصرح بأنه كان حريصاً على منح امتياز الإحساء للإنجليز؛ لأنه لم يسبق له التعامل مع غيرهم، وأنه لم يمنح الامتياز للشركة الأمريكية إلا بعد يأسه من موقف الشركات البريطانية التي فقدت حماسها، هذا بالإضافة إلى التقارير السياسية التي كان يبعث بها السير أندرو ريان السفير البريطاني في جدة الذي كان لا يشجع حكومته على استثمار أموالها في المملكة بحجة أن الأوضاع الداخلية لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الاستقرار السياسي. ويضيف جون فيلبي أن شركة نفط العراق لم تعرض على الملك عبد العزيز أكثر من عشرة آلاف جنيه إسترليني ذهباً عوضاً عن المائة ألف جنيه التي كان قد طلبها شرطاً لتوقيع الامتياز على حين سارعت شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا بتلبية مطالب ابن سعود وكانت أكثر سخاءاً بعد ما تأكد لديها وجود النفط بكميات تجارية في المقاطعات الشرقية من المملكة، وبخاصة بعد نجاح العمليات التنقيبية في البحرين.

ورغم أن الصداقة أخذت تتوثق بين الملك عبد العزيز والأمريكيين إلا أنه كان حريصاً مع ذلك على الاحتفاظ بعلاقات الصداقة التقليدية مع بريطانيا. ثم شهدت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تراجعاً ملحوظاً في العلاقات البريطانية السعودية[1].

وقد كان من العوامل الدولية المهمة التي واجهت عبد العزيز بن سعود التوجهات القومية المتشددة للضباط الاتحاديين الذين حكموا تركيا مع وجود السلطة

---

[1] المصدر السابق.

الاسمية للخلافة العثمانية، فعندما بدأت إرهاصات الحركة العربية الحديثة في أوائل القرن العشرين، وثار العرب في مختلف أقطارهم ضد الحكومة التركية بسبب ما كانوا يتعرضون له من ظلم واضطهاد على أيدي الحكام الأتراك وانبثقت عدة منظمات تطالب بالاستقلال عن الدولة العثمانية سعت الحكومة التركية في أسطنبول إلى مشاورة عبد العزيز بن سعود ومعرفة رأيه في مستقبل البلاد العربية وعلاقتها مع الدولة العثمانية وحفظت لنا ما جرى بينهما. ففي عام ١٩١٢ اتصلت الحكومة العثمانية عن طريق واليها بالبصرة شفيق كمالي بالأمير عبد العزيز آل سعود، تستطلع رأيه في أوضاع البلاد العربية ومستقبلها فكتب يقول:

"إني أرى أن تدعو رؤساء العرب كلهم، كبيرهم وصغيرهم، إلى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة. والغرض من هذا المؤتمر التعاون والتآلف ثم تقرير أحد أمرين: إما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة، يرأسها حاكم واحد، وإما أن تقسموها إلى ولايات تحدون حدودها وتضعون على رأس كل ولاية رجلاً كفؤاً من كل الوجوه وتربطوها بعضها ببعض برباط عام مشترك من المصالح والمؤسسات. وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً إدارياً، وتكونوا أنتم المشرفين عليها. فإذا تم ذلك فعلى كل أمير عربي أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم."[1].

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٨م تنكر الإنجليز للعهود التي أعطوها للشريف حسين بن علي، وبسطوا احتلالهم على البلاد العربية وتقاسموها مع الفرنسيين وفقاً لاتفاقية (سايكس – بيكو) المعروفة لسنة ١٩١٦م. وكانت

---

[1] مواقف تاريخية خالدة للملك عبد العزيز آل سعود من القضايا العربية المعاصرة – دكتور بكر مصباح تنيرة – مجلة الحرس الوطني السعودية عدد رقم ٢٩٤ – ١/ ١٠/ ٢٠٠٦.

القضية الفلسطينية منذ البداية في مقدمة القضايا التي أعطاها عبد العزيز كل عناية، ففي مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩م حيث أرسل إليه المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز، وفي الحديث الذي أدلى به الملك عبد العزيز إلى مندوب مجلة (لايف) الأمريكية سنة ١٩٤٣م عندما سأله عن رأيه في مسألة فلسطين، فأجابه قائلاً:

"إننا لا نعلم أن لليهود أمراً يبرر مطالبتهم بفلسطين باعتبار أن فلسطين كانت ملكاً قبل البعثة المحمدية بقرون لبني إسرائيل فقد تسلط عليهم الرومان في ذلك الوقت وقتلوهم وشتتوا شملهم ولم يبق أثر لحكومتهم فيها وقد استولى العرب عليها وأخذوها من الرومان منذ ألف وثلثمئة سنة ونيف وهي منذ ذلك الوقت بيد المسلمين ومن هذا يظهر أن ليس لليهود حق في دعواهم هذه لأن جميع بلدان العالم تقلبت عليها شعوب فحكمتها وصارت وطناً لهم لا منازع فيه فلو أردنا تعقب نظرية اليهود لوجب على كثيرين من شعوب العالم المستقرة أن ترحل من بلادها وفلسطين من ضمن هذه البلاد".

"إننا لم نخش من اليهود ومن أن تكون لهم دولة أو سلطة لا في بلاد العرب ولا في غيرها بموجب ما أخبرنا به المولى سبحانه وتعالى على لسان رسوله في كتابه الكريم. ونرى أن تشبث اليهود في هذه البلاد من الخطأ: أولاً لأن في ذلك ظلماً للعرب خاصة والمسلمين عامة. وثانياً لأن ذلك مما يورث الفتن والقلاقل بين المسلمين وأصدقائهم الحلفاء وهذا شيء لا فائدة فيه ثم بعد ذلك إذا كان اليهود مضطرين إلى محل يسكنونه ففي بلاد أوربا وأمريكا وغيرها من البلدان بلاد أوسع وأخصب من هذه البلاد وأتم لمصالحهم وهذا هو الإنصاف ولا فائدة من إدخال الحلفاء والمسلمين في مشكلة ليس من ورائها طائل. أما سكان فلسطين القدماء من اليهود فمن رأينا أن يتفق العرب مع أصدقائهم لحفظ مصالحهم"[1].

---

[1] مواقف تاريخية خالدة للملك عبد العزيز آل سعود من القضايا العربية المعاصرة – دكتور بكر مصباح تنيرة – مجلة الحرس الوطني السعودية عدد رقم ٢٩٤ – ١/ ١٠/ ٢٠٠٦.

وقد كشف النقاب مؤخرا عن تفاصيل جديدة مهمة بشأن الموقف البريطاني من القضية الفلسطينية وهي القضية التي سوف تصبح مؤثرا رئيسا في العلاقات بين السعودية والقوى الغربية الرئيسة: بريطانيا ثم الولايات المتحدة، فقد نشر الموقع الإليكتروني لهيئة الإذاعة البريطانية أن وثائق سياسية بريطانية بشأن فلسطين كُشف عنها مؤخرا – تعود إلى زمن الحرب العالمية الثانية – أظهرت وجود مناقشات بين رئيس الوزراء البريطاني وقتها ونستون تشرشل والرئيس الإسرائيلي المستقبلي حاييم وايزمان أدت إلى خلاف وتبادل جاف للرسائل مع وزير الخارجية البريطاني أنتوني إيدن، وأظهر الملف السري للغاية الذي يعود إلى عام ١٩٤٣ أن تشرشل كان ميالا إلى خطة ترمي إلى تقديم رشوة للملك عبد العزيز بن سعود تتمثل في مبلغ ٢٠ مليون جنيه إسترليني وأن يتولى رئاسة كونفيدرالية عربية، وذلك في مقابل أن تقدم العائلة المالكة السعودية المساعدة في إعطاء فلسطين لليهود. لكن إيدن أوضح لرئيسه في الرسالة أن الإقدام على خطوة كتلك سيكون مخالفا للسياسة البريطانية[1].

وقد قدم الفكرة إلى تشرشل رئيس الوكالة اليهودية في وقتها، حاييم وايزمان – وهي الوكالة التي كانت مسؤولة عن شؤون المجتمع اليهودي في فلسطين تحت انتداب عصبة الأمم – وكان تشرشل متعاطفا مع القضية اليهودية كما كان مؤيدا لوعد بلفور لعام ١٩١٧، الذي تعهد بإقامة وطن قومي لليهود. لكن إيدن، المعروف بهدوئه ودبلوماسيته، غضب حين علم من واشنطن بأن وايزمان أشار إلى الخطة في حديث مع أحد مساعدي الرئيس تيودور روزفلت، بقوله "خطة رئيس الوزراء". وكتب إيدن رسالة إلى تشرشل يقول فيها:

---

[1] سجلات بريطانية تكشف عن خطة لتهويد فلسطين – ريك فاونتي – ٢٤ – http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news – ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤.

"لا أعلم إلى أي مدى يملك وايزمان صلاحية التحدث باسمك، لكنني قلق بعض الشيء بسبب خطر الالتباس الحادث في واشنطن.. ..سياستنا الحالية في فلسطين تمت الموافقة عليها في البرلمان.. ..أعرف تماما مشاعرك الشخصية بهذا الخصوص، لكن لم تكن هناك مناقشة توحي بإمكانية مخاطبة الحكومة الأمريكية بخصوص احتمال تعديلها"[1]. (أي السياسة البريطانية).

وأضاف إيدن:

"يجب أن أسجل أيضا وجهة نظري بأن ابن سعود لن يقبل استقبال وايزمان لمناقشة مستقبل فلسطين، ولن يوافق على أن يزكي للعالم العربي أي صيغة تشابه ولو من بعيد الطموحات الصهيونية".

وأشار إيدن إلى أن الكتاب الأبيض الصادر عن الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بشأن فلسطين كان واضحا في معارضته لأن تصبح دولة يهودية، وفي رده على الرسالة كتب تشرشل:

"ليس لدى وايزمان سلطة التحدث باسمي. في نفس الوقت، لقد ذكرت وجهات النظر تلك له حين التقينا في وقت ما في السابق، وقد استمعت مني أنت شخصيا إليها مرارا".

وأقر تشرشل بأنه حتى لو تم إقناع الملك، الذي كان عمره وقتها ٦٧ سنة، فربما لن يطول به العمر لكي ينفذ الوعد. وقال في الخطاب:

---

[1] سجلات بريطانية تكشف عن خطة لتهويد فلسطين – ريك فاونتي – ٢٤ – http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news – ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤.

"إن الصعوبة الكبرى هي عمر ابن سعود". وأضاف تشرشل: "أعتبر أن كل الحوارات التي تناولت هذه النقاط لا تزال غير ناضجة في الوقت الحاضر، وليس من شأنها إلا التسبب في الخلاف"[1].

وقبل أن تنعقد القمة الأمريكية السعودية كانت الولايات المتحدة تتقدم بخطى حثيثة لاحتلال موقع متقدم في الخليج وبالتالي في المملكة العربية السعودية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى تعتمد سياسة التجاهل وعدم الاهتمام إزاء ما كان يسمى "المسألة الشرقية" أي ضعف الدولة العثمانية التي كانت تسمى في أدبيات الديبلوماسية الغربية "الرجل المريض"، وهكذا فإن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة العربية محصورة في بعض الهيئات التي كان الرأي العام الأمريكي يحصل على معلوماته عن المنطقة منها، ومن أهم هذه الهيئات مؤسسات تبشيرية وهيئات تعليمية ورجال أعمال[2].

وعلى الصعيد الرسمي كان القنصل الأمريكي في عدن (المستعمرة البريطانية في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية) الديبلوماسي الأمريكي الوحيد في المنطقة[3]. وفي يوليو ١٩٢٥ عندما كانت قوات ابن سعود تهزم الهاشميين في الحجاز قام الممثل المالي للشريف حسين بن علي زعيم الهاشميين بالاتصال بالممثل الأمريكي في الإسكندرية ستيوارت جون وطلب منه تدخل أمريكا في الصراع في الحجاز وأن تقرضه مليون جنيه استرليني بضمان موارد جمارك جدة، على أن تحصل الولايات المتحدة الأميركية في المقابل على امتياز التنقيب عن المعادن وضمنها النفط، وكان رد جونسون أن الموافقة على هذه العرض غير محتملة[4].

---

(١) سجلات بريطانية تكشف عن خطة لتهويد فلسطين – ريك فاونتي – ٢٤ – http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news – ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤.

(٢) العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق – ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق – ص ٤٠ – ٤١.

وفي هذه الأثناء كانت حكومات أوروبية عديدة قد اعترفت بـ "مملكة نجد والحجاز وملحقاتها"، وهو اسمها آنذاك، وفي العام ١٩٢٧ استفسر رجل أعمال أمريكي عن عدم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بهذه المملكة وكان رد وزارة الخارجية أنه ليس هناك حاجة إلى إنشاء علاقات ديبلوماسية مع ابن سعود. وبدأت المباحثات بين الطرفين لأجل الاعتراف الأمريكي بالمملكة عام ١٩٢٨ بمناسبة توقيع اتفاقية دولية لمنع الحروب، وبهذه المناسبة بعث فؤاد حمزة مدير العلاقات الخارجية بالمملكة رسالة لوزير الخارجية الأمريكي فرانك كيلوج في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٨، وفي رسالته أشار حمزة إلى أن الولايات المتحدة تريد من كل الدول المستقلة أن توقع على هذه المعاهدة وبهذا الخصوص فقد اقترح أن تتبادل الدولتان الاعتراف والتمثيل الديبلوماسي، وبينما وقعت المملكة العربية السعودية المعاهدة الدولية المشار إليها اعتذرت الولايات المتحدة الأمريكية عن الاستجابة لدعوة السعودية للاعتراف المتبادل[1].

وفي عام ١٩٣٠ أوصى نائب القنصل الأمريكي في عدن بشدة بالاعتراف الأمريكي بالمملكة، وفي أواخر يناير ١٩٣١ تحدث وزير الخارجية مع الرئيس هربرت كلارك هوفر ووافق الرئيس على مسألة الاعتراف، وفي ١ مايو ١٩٣١ أعلن وزير الخارجية الأمريكي الاعتراف بحكومة "ملك الحجاز ونجد وملحقاتها"[2]،

وتعد الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز بن سعود والرئيس فرانكلين روفلت المتعاقبة صفحة مهمة من صفحات العلاقات بين الدولتين قبل القمة الأمريكية السعودية الأولى، ففي الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٣٨ م نشرت وزارة الخارجية

---

[1] العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ٤١ – ٤٢.

[2] المصدر السابق – ص ٤٣ – ٤٦.

الأمريكية بيانا أوضحت فيه موقف حكومة الولايات المتحدة من الأحداث الجارية في فلسطين حينذاك. وقد عبّرت في بيانها عن تأييد أمريكا لقيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين مشيرة إلى الدور القيادي الذي لعبه الأمريكيون تفكيرا وتمويلا من أجل إنشاء ذلك الوطن وتقدمه. وحين علم الملك عبد العزيز بذلك البيان بعث رسالة إلى الرئيس روزفلت عن طريق القائم بأعمال المفوضية الأمريكية في القاهرة هذا نصها:

"فخامة الرئيس. لقد اطلعنا على ما نشر عن موقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية الخاص بمناصرة اليهود في فلسطين. ونظرا لثقتنا في محبتكم للحق والعدل، وفي تمسك الشعب الأمريكي بالتقاليد الديموقراطية الأساسية المبنية على تأييد الحق والعدل ونصرة الشعوب المغلوبة، ونظرا للصلات الودية القائمة بين مملكتنا وحكومة الولايات المتحدة نود أن نلفت نظركم، يا فخامة الرئيس، إلى قضية العرب في فلسطين وحقوقهم المشروعة فيها. ولدينا ثقة تامة في أن بياننا سيوضح لكم وللشعب الأمريكي قضية العرب العادلة في تلك البلاد المقدسة.

لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن الموقف الأمريكي أن قضية فلسطين قد نُظر إليها من وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر اليهود الصهاينة، وأهملت وجهات نظر العرب. وقد لاحظنا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة الانتشار أن الشعب الأمريكي الديموقراطي قد ضلل تضليلا كبيرا أدى إلى اعتبار تأييد اليهود في سحق العرب في فلسطين عملا إنسانيا. ومع أن هذا ظلم موجه ضد شعب مسالم يعيش في بلاده فإن الفلسطينيين لم يفقدوا الثقة في عدالة الرأي العام الديموقراطي في العالم كافة وفي أمريكا خاصة. وإني لواثق من أن حقوق العرب في فلسطين إذا اتضحت لفخامتكم وللشعب الأمريكي فإنكم ستؤيدونها حق التأييد.

إن الحجة التي اعتمد عليها اليهود في ادعاءاتهم بشأن فلسطين هي أنهم استوطنوها فترة من الزمن القديم وأنهم تشتتوا في بلاد العالم المختلفة، وأنهم يودون أن يوجدوا لهم

مكان تجمّع في فلسطين يمكنهم أن يعيشوا فيه بحرية. ويستندون في عملهم على وعد تلقّوه من الحكومة البريطانية يسمى وعد بلفور.

أما دعوى اليهود التاريخية فإنه لا يوجد ما يبررها لأن فلسطين كانت وما زالت مسكونة بالعرب خلال كل الفترات التاريخية المتعاقبة، وكان الحكم فيها لهم. وإذا استثنينا الفترة التي أقامها اليهود فيها، والمدة التي سيطرت فيها الإمبراطورية الرومانية عليها، فإن سلطان العرب على فلسطين كان منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر. وكان العرب في كل فترات وجودهم محافظين على الأماكن المقدسة، معظّمين لوضعها، محترمين لقدسيتها، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص. ولما امتد الحكم العثماني على فلسطين كان النفوذ العربي مسيطرا، ولم يشعر العرب أبدا أن الأتراك كانوا قوة مستعمرة في بلادهم، وذلك لما يلي:

١- وحدة الرابطة الدينية.

٢- شعور العرب بأنهم شركاء للأتراك في الحكم.

٣- كون الإدارة المحلية للحكم في أيدي أبناء البلاد أنفسهم.

فمما ذكر يتبين أن دعوى اليهود بحقهم في فلسطين، استنادا إلى التاريخ، لا حقيقة لها؛ لأن اليهود إذا كانوا قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصفتهم مستولين عليها فإن العرب قد استوطنوها مدة أطول بكثير من تلك، ولا يمكن أن يعتبر استيلاء شعب على بلد من البلدان حقا طبيعيا يبرر مطالبته به. ولو أخذ بهذا المبدأ في الوقت الحاضر لحق لكل شعب أن يطالب بالبلدان التي سبق له أن استولى عليها بالقوة في فترة معينة. وذلك سيؤدي إلى تغييرات مذهلة في خريطة العالم مما لا يتلاءم مع الحق ولا مع العدل أو الإنصاف.

أما بالنسبة لدعوى اليهود الأخرى التي يستدرون بها عطف العالم فهي أنهم مشتتون ومضطهدون في بلدان مختلفة، وأنهم يودون أن يجدوا مكانا يأوون إليه ليأمنوا من الظلم الذي يواجهونه في كثير من البلدان. والمهم في هذا الأمر أن يفرّق بين قضية اليهود أو اللاسامية في العالم وبين مسألة الصهيونية السياسية. وإذا كان المقصود العطف على اليهود

المشتتين فإن فلسطين بلد صغيرة، وقد استوعبت عددا كبيرا منهم يفوق ما استوعبه أي بلد من بلدان العالم إذا قورنت مساحتها بمساحات الدول الأخرى التي يقيم اليهود فيها. وليس من الممكن أن تتسع مساحة ضيقة كفلسطين لجميع يهود العالم حتى لو فُرض أنها خالية من سكانها العرب (كما قال السيد مالكولم ماكدونالد في الخطاب الذي ألقاه مؤخرا في مجلس العموم البريطاني). فإذا قُبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين الآن في فلسطين فإن هذه البلاد الصغيرة قد قامت فعلا بعمل إنساني لم يقم بمثله غيرها. وترون، يا فخامة الرئيس أنه ليس من العدل أن تسدّ حكومات العالم – ومن بينها الولايات المتحدة – أبوابها أمام هجرة اليهود وتفرض على فلسطين، البلد العربي الصغير، مهمة استيعابهم.

وأما إذا نظرنا إلى القضية من وجهة نظر الصهيونية السياسية فإن وجهة النظر هذه تمثل ناحية ظالمة غاشمة هدفها القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل، وإشباع النهم السياسي والطمع الشخصي لقليل من الصهاينة. وأما استناد اليهود إلى وعد بلفور فإن ذلك الوعد كان جورا وظلما لبلاد مسالمة مطمئنة. وقد أعطي من قِبَل حكومة لم تكن تملك حين إعطائه حق فرضه على فلسطين، كما أن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ولا في إجراءات الانتداب الذي فرض عليهم، كما وضّحه مالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية. وكان ذلك برغم الوعود التي بذلها الحلفاء، وبينهم أمريكا، لهم بحق تقرير المصير. ومن المهم أن نُذكّر بأن وعد بلفور كان مسبوقا بوعد آخر من الحكومة البريطانية، بمعرفة الحلفاء، بحق العرب في فلسطين وفي غيرها من البلدان العربية الأخرى.

ومن هذا يتبين لكم، يا فخامة الرئيس، أن حجة اليهود التاريخية باطلة، ولا يمكن اعتبارها. أما دعواهم من الوجهة الإنسانية فقد قامت بها فلسطين أكثر من أي بلد آخر. ووعد بلفور الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ومناقض لمبدأ تقرير المصير. وإن أطماع الصهاينة تجعل العرب في جميع الأقطار يخشون منها وتدعوهم إلى مقاومتها. أما حقوق العرب في فلسطين فلا تقبل المجادلة؛ لأن فلسطين بلادهم منذ أقدم العصور، ولم يغادروها أو يطردوا منها. وكانت من الأماكن التي ازدهرت فيها الحضارة العربية ازدهارا

يدعو إلى الإعجاب. ولذلك فهي عربية أصلا ولغة وموقعا وحضارة، وليس في ذلك أية شبهة أو غموض. وتاريخ العرب مليء بالأحكام العادلة والأعمال النافعة.

وحينما قامت الحرب العالمية الكبرى انضم العرب إلى الحلفاء أملا في الحصول على استقلالهم، وكانوا على ثقة تامة من أنهم سينالونه بعد الحرب للأسباب الآتية:

١ – لأنهم اشتركوا بالحرب فعلا، وضحّوا بأنفسهم وأموالهم.

٢ – لأنهم وُعدوا بذلك من قِبَل الحكومة البريطانية في المراسلات التي دارت بين ممثلها حينذاك، السير هنري مكماهون، والشريف حسين.

٣ – لأن سلفكم العظيم، الرئيس ولسون، قرر دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب الحلفاء نصرة للمبادئ الإنسانية الرفيعة التي كانت من أهمها حق تقرير المصير.

٤ – لأن الحلفاء صرّحوا في نوفمبر سنة ١٩١٨م عقب احتلالهم البلدان، أنهم دخلوها لتحريرها وإعطاء شعوبها حريتهم واستقلالهم.

وإذا رجعتم، يا فخامة الرئيس، إلى التقرير الذي قدمته لجنة التحقيق التي أرسلها سلفكم الرئيس ولسون إلى الشرق الأدنى عام ١٩١٩م ستجدون المطالب التي طلبها العرب في فلسطين وسوريا حينما سئلوا عن المصير الذي يطلبونه لأنفسهم. لكن العرب، لسوء الحظ، وجدوا بعد الحرب أنهم قد خُدعوا، وأن الأماني التي وعدوا بها لم تحقق. فقد قُسّمت بلادهم تقسيما جائرا، ووضعت لهذه الأقسام حدود مصطنعة لا تبررها الحقائق الجغرافية أو القومية أو الدينية. وبالإضافة إلى ذلك وجدوا أنفسهم أمام خطر عظيم جدا، وهو خطر غزو الصهاينة لهم واستملاكهم لأغلى أراضيهم.

ولقد احتج العرب بشدة حينما علموا بوعد بلفور، كما احتجوا بشدة على نظام الانتداب، وأعلنوا رفضهم له وعدم قبولهم به منذ اليوم الأول. وكان تدفق الهجرة اليهودية من أقطار مختلفة إلى فلسطين مدعاة لتخوّف العرب على حياتهم ومصيرهم فقامت ثورات

واضطرابات عديدة في فلسطين سنة ١٩٢٠م، ١٩٢١م ١٩٢٩م، وكان أهم تلك الثورات ثورة عام ١٩٣٦م التي لا تزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة.

يا فخامة الرئيس، إن عرب فلسطين ومن ورائهم سائر العرب، بل سائر العالم الإسلامي يطالبون بحقوقهم ويدافعون عن بلادهم من الدخلاء عليها وعليهم. ومن المستحيل إقرار السلام في فلسطين ما لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا من أن بلادهم لن تُعطَ إلى شعب غريب تختلف مبادئه وأهدافه وعاداته عن مبادئهم وأهدافهم وعاداتهم في كل شيء. ولذا فإننا نهيب بكم ونناشدكم، يا فخامة الرئيس، باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهر بها الشعب الأمريكي النبيل أن تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين، وأن تساعدوا أولئك الذين يعيشون في سلام وهدوء رغم الهجمات الواقعة عليهم من قِبَل تلك الجماعات المشرّدة من كل أجزاء العالم. إذ ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أقطار العالم المختلفة وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته. ولا نشك في أن المبادئ السامية التي يعتنقها الشعب الأمريكي ستجعله يذعن للحق ويناصر العدل والإنصاف"[1].

وقد رد الرئيس الأمريكي روزفلت على هذه الرسالة برسالة هذا نصها:

صاحب الجلالة، لقد سرّني كثيرا أن استلمت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٣٨م التي سلّمها القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بالقاهرة في ٦ من ديسمبر إلى القائم بأعمال المفوضية الأمريكية هناك بشأن قضية العرب في فلسطين. ولا يخفى على جلالتكم أن الحالة الفلسطينية قد استرعت اهتمام الشعب الأمريكي طويلا. ولذلك فإني قد قرأت رسالة جلالتكم التي كرستموها لهذا الموضوع باهتمام خاص. إن اهتمام الشعب الأمريكي بفلسطين يرتكز على عدة اعتبارات؛ منها ما هو ذو صبغة

---

[1] كتبت في ٧ شوال ١٣٥٧ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٩٣٨، نقلا عن: القدس وثالث الحرمين الشريفين من أولويات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – دراسة – دكتور نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود – الموقع الإليكتروني لجامعة الملك سعود http://wwww.ksu.edu.sa.

روحية، ومنها ما هو ناشئ عن الحقوق التي نالتها الولايات المتحدة في فلسطين من الاتفاقية الأمريكية البريطانية الخاصة بالانتداب في فلسطين المؤرخة في ٣ من كانون أول/ديسمبر سنة ١٩٢٤م.

وقد تبين موقف الولايات المتحدة بشأن فلسطين في بيان عام أصدرته وزارة الخارجية في ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٨م والذي يسرّني أن أبعث لجلالتكم بصورة منه. ويمكنني أن أضيف إلى ذلك أن هذه الحكومة لم تتخذ أبدا أي موقف مخالف لما تمسكت به منذ البداية تجاه هذا الموضوع"[1].

وبعد ذلك بسنوات بعث الملك عبد العزيز إلى الرئيس روزفلت الرسالة التالية:

صاحب الفخامة، في هذه الحرب العالمية العظيمة التي تبذل فيها الأمم دماءها وتنفق ثرواتها دفاعا عن الحرية والاستقلال، وفي هذه الحرب التي أعلنت فيها المبادئ السامية، التي يحارب من أجلها الحلفاء في ميثاق الأطلنطي، وفي هذا الصراع الذي أهاب فيه زعماء كل بلد بشعوبهم وبحلفائهم وأصدقائهم أن يقفوا معهم في صراعهم من أجل الحياة، راعني، كما راع المسلمين والعرب، أن تنتهز مجموعة من الصهاينة فرصة هذه الأزمة الصعبة فتقوم بدعاية واسعة النطاق تهدف بها إلى تضليل الرأي العام الأمريكي من جهة والضغط على دول الحلفاء في هذا الوقت الحرج من جهة ثانية لحملها على الخروج على مبادئ الحق والعدل والمساواة التي أعلنتها والتي تقاتل من أجلها، وهي حرية الشعوب واستقلالها. وقد أراد اليهود بعملهم هذا أن يحملوا الحلفاء على مساعدتهم في القضاء على العرب المسالمين الذين يعيشون في فلسطين منذ آلاف السنين. إنهم يريدون أن يخرجوا هذا الشعب النبيل

---

[1] كتبت في ٩ من يناير عام ١٩٣٩م الموافق ١٦ ذو القعدة ١٣٥٧هـ ووقعها الرئيس الأمريكي مستخدما تعبير: " صديقكم الحميم فرانكلين روزفلت"، نقلا عن: القدس وثالث الحرمين الشريفين من أولويات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – دراسة – دكتور نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود – الموقع الإليكتروني لجامعة الملك سعود - .http://wwww.ksu.edu.

من موطنه وأن يحلّوا اليهود من جميع الآفاق في هذا الوطن العربي الإسلامي المقدّس. وأي ظلم فادح فاضح سوف ينتج – لا قدّر الله – عن هذا الصراع العالمي إذا أتى الحلفاء في آخره ليكللوا ظفرهم المقبل بإخراج العرب من ديارهم في فلسطين ويحلوا محلهم شراذم اليهود الذين لا تربطهم بهذا الوطن أية رابطة غير دعوى خيالية لا أصل لها في نظر الحق والعدل إلا ما يحيكونه بالخداع والغش، منتهزين بذلك فرصة وضع الحلفاء الحرج ومنتهزين فرصة جهل الشعب الأمريكي بحقيقة قضية العرب عامة وقضية فلسطين خاصة.

لقد كتبت لفخامتكم بتاريخ ٧ من شوال ١٣٥٧هـ الموافق ١٩ من نوفمبر ١٩٣٨م رسالة أوضحت فيها حقيقة الأمر بين العرب واليهود في فلسطين. وإذا رجع فخامتكم إلى تلك الرسالة ستجدون فيها أنه لا يوجد أي حق لليهود في فلسطين، وأن دعواهم أمر باطل لم يسجل تاريخ البشرية له مثيلا. ففلسطين تخص العرب منذ فجر التاريخ، وهي في وسط الأقطار العربية. ولم يسكنها اليهود إلا فترة من الزمن كان أكثرها مليئا بالمجازر والمآسي. ثم أجلوا عنها. والآن يراد أن يعادوا إليها. وبهذا سيظلم اليهود العرب المسالمين الآمنين. تكاد السموات يتفطرن وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدا من كل ما يدّعيه اليهود في فلسطين دنيا ودينا.

وبعد أن أرسلت إلى فخامتكم رسالتي المشار إليها كنت أعتقد، ولا أزال أعتقد، أن حق العرب في فلسطين قد اتضح لكم؛ لأني لم أر في جوابكم لي بتاريخ ٩ من يناير سنة ١٩٣٩م أنكم لاحظتم أية ملاحظة على الحقائق التي ذكرتها في رسالتي السابقة. وكنت أودّ أن لا أضيع وقت فخامتكم وأوقات رجال حكومته بهذه القضية في هذا الوقت الحرج، لكن الأنباء المتواترة عن عدم تورّع هؤلاء الصهاينة في إثارة دعواهم الظالمة الخاطئة هي التي جعلتني أذكّر فخامتكم بحقوق المسلمين والعرب في البلاد المقدسة لتمنعوا هذا الظلم، وليكون بياني لفخامتكم عونا على إقناع الأمريكيين بحقوق العرب في فلسطين، ويدرك الأمريكيون– الذين يريد اليهود الصهاينة بالدعاية أن يضللوهم– الحقائق الواقعة فيساعدوا العرب المظلومين، ويكللوا جهودهم الحاضرة بإقامة الحق، والعدل في كل أنحاء العالم.

وإذا تركنا جانبا العداوة الدينية بين المسلمين واليهود منذ ظهور الإسلام، والتي كان سببها تصرّف اليهود الغادر تجاه المسلمين ونبيهم، وإذا تركنا كل ذلك جانبا ونظرنا إلى قضية اليهود من الناحية الإنسانية البحتة وجدنا الأمر كما ذكرته في رسالتي السابقة من أن فلسطين، باعتراف كل من عرفها من سائر أبناء البشر، لا تستطيع أن تحلّ المشكلة اليهودية. ولقد فرضنا أن هذه البلاد تعرضت للظلم بكل صوره، وأن كل عرب فلسطين، رجالا ونساء وأطفالا قتلوا وأخذت أراضيهم وسلّمت كلها لليهود فإن ذلك لن يحل المشكلة اليهودية ولن تكون هناك أرض كافية لليهود. فلماذا إذن يراد القيام بهذا الظلم الفريد في تاريخ البشرية إذا علم بأنه لن يؤدي إلى نتيجة مرضية لقتلة المستقبل ونعني بهم اليهود؟

لقد ذكرت لفخامتكم في رسالتي السابقة أننا إذا نظرنا إلى الموضوع من وجهة نظر إنسانية فسنجد أن البلاد الصغيرة المسمّاة فلسطين قد جلب إليها عند بداية الحرب الحالية حوالي أربعمائة ألف يهودي. وكانت نسبة اليهود إلى السكان عند نهاية الحرب العالمية الأولي ٧% فقط. لكن هذه النسبة زادت حتى وصلت قبيل بدء الحرب الحالية إلى ٢٩%، وما زالت هذه الزيادة مستمرة، ولا ندري أين ستتوقف. لكننا نعلم أن اليهود قبل الحرب بقليل يمتلكون ١،٠٠٠،٣٣٢ دونم من أصل ٧،٠٠٠،٠٠٠ دونم من الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين جميعها.

إننا لا ننوي القضاء على اليهود ولا نطالب بذلك، ولكننا نطالب بأن لا يقضى على العرب من أجل اليهود. إن العالم يجب أن لا يضيق عن استيعاب اليهود. فالحق لو أن كل بلد من بلدان الحلفاء تحمّل عشر ما تحملته فلسطين لأمكن حلّ المشكلة اليهودية وإسكانهم. وكل ما نرجوه الآن مساعدتكم في إيقاف سيل الهجرة بإيجاد مكان يعيش فيه اليهود غير فلسطين، ومنع بيع أراضيها عليهم منعا باتا. وبعد ذلك ينظر الحلفاء والعرب في موضوع تأمين إسكان أولئك اليهود الذين يمكن أن تتحملهم فلسطين من اليهود المقيمين فيها الآن.

وإني إذ أكتب إلى فخامتكم هذه الرسالة لواثق بأنكم ستقبلون رجاء صديق يشعر بأنكم تقدّرون الصداقة كما تقدّرون الحق والعدل والمساواة، ويعلم أن أعظم أمل للشعب الأمريكي أن يخرج من هذا الصراع العالمي فرحا بانتصار المبادئ التي يقاتل من أجلها، وهي تأكيد حرية كل شعب وإعطاؤه حقوقه؛ لأنه – لا سمح الله – لو أعطي اليهود بغيتهم فإن فلسطين ستبقى إلى الأبد مقرا لفتن واضطرابات كما حدث في الماضي. وسوف يسبب هذا مشاكل للحلفاء عامة ولصديقتنا بريطانيا العظمى خاصة. وإن اليهود، بما أوتوا من قوة في المال والعلم، قادرون على إثارة العداوة بين العرب والحلفاء في أية لحظة. وقد كانوا سبب كثير من المشاكل في الماضي.

وكل ما نحرص عليه الآن أن يسود الحق والعدل في حل المشاكل المختلفة التي ستظهر بعد الحرب وأن تكون العلاقات بين العرب والحلفاء دائما أقوى وأحسن ما يكون[1]".

وقد أجاب الرئيس روزفلت الملك عبد العزيز بالرسالة التالية:

"أيها الصديق العظيم، لقد تلقيت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٣٠ من أبريل عام ١٩٤٣م المتعلقة بالشؤون التي تمس فلسطين، وإني أقدّر روح الصداقة التي أبديتموها في إعرابكم عن هذه الآراء. ولقد لاحظت بعناية الآراء الواردة في هذه الرسالة، وكذلك تلك التي اشتملت عليها رسالة جلالتكم المؤرخة في ٢٩ من تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٣٨م والرسالة الشفوية التي حملها السيد كيرك، الوزير الأمريكي في نهاية زيارته الأخيرة إلى الرياض، ولا شك أن جلالتكم قد تلقيتم رسالتي التي بلّغها السيد موسى إلى سمو الأمير فيصل. وكما ذكرت في تلك الرسالة يبدو لي من المرغوب فيه للغاية أن العرب واليهود ممن تهمهم المسألة يتفاهمون تفاهما وديا فيما يتعلق بفلسطين، وذلك بمساعيهم الخاصة قبل

---

[1] كتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ليوم ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٣ م، نقلا عن: القدس وثالث الحرمين الشريفين من أولويات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – دراسة – دكتور نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود – الموقع الإليكتروني لجامعة الملك سعود: .http://wwww.ksu.edu. -

نهاية الحرب، وإني لسعيد بهذه الفرصة، على أية حال، لأعيد تأكيدي بـأن وجهـة نظـر حكومة الولايات المتحدة أن لا يتخذ أي قرار يغير الوضـع الأساسـي الفلسطيني دون التشاور الكامل مع كل من العرب واليهود[1]".

[1] كتبت في ١٥ يوليو عام ١٩٤٣م الموافق ١٩ من رجب ١٣٦٢هـ، وقد وقعها الرئيس الأمريكي مستخدما تعبير "صديقكم المخلص"، نقلا عن المصدر السابق.

قمة روزفلت – بن سعود

بقلم:

عقيد بحري متقاعد: وليم إيدي

أول وزير مفوض أمريكي بالمملكة العربية السعودية

(١٩٤٤ – ١٩٤٦)

حق النشر في ١٩٥٤

جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكان

تعد جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكان مؤسسة تعليمية ثقافية غير تجارية أو سياسية؛ تسعى لإقامة تفهم أفضل بين الولايات المتحدة ودول الشرق الأوسط.

وترعى المنظمة تبادل المتخصصين والأساتذة وقادة النشاط العام لإلقاء المحاضرات أمام الطلبة والكنائس وجماعات المواطنين، وتهتم بمؤتمرات طلبة المنطقة المقيمين بالولايات المتحدة، وتأمل في زيادة اهتمام الطلبة الأمريكان بالشرق الأوسط وتساعد في نشر الموضوعات الواقعية عن المنطقة، وتشجع على إقامة المعارض الفنية والصناعات الخلاقة بالشرق الأوسط، وتعد رابطة للأمريكان العاملين هناك وتدعوهم للمشاركة في نشاطها.

إلى

ميري جرفن إيدي

وكارمن فرانسيس إيدي

عن مشاركة القلق والقسوة.. ..ومغامرة جدة في زمن الحرب

البيت الأبيض

واشنطون

في: ١٦ فبراير ١٩٤٥

عزيزي العقيد

أود لو عرفت مدى سعادتي بك وفخري بأسلوبك في تدبير الترتيبات الخاصة لمقابلتي بالملك ابن سعود وأعلمُ أن تلك النتائج الناجمة لا تخلو من أثـر لاجتـهادك وترتيباتك الذكية. لقد ازددتُ خبرة رائعة أو مثيرة ووعيا للـدور الهـام الـذي اضطلعت به، ليس فقط في الترتيبات بل في المحادثات نفسها مما أسفر عن نجاح بـيّن ولقاءٍ مثير.

مع أطيب أمنياتي

روزفلت

المحترم وليم إيدي

المفوضية الأمريكية

جدة – العربية السعودية

وليم لاهي، قائد الأسطول البحري الأمريكي

في ١٧ سبتمبر ١٩٥٣

عزيزي العقيد إيدي

فلتقبل تقديري وإعجابي لمجاملتك اللطيفة في إرسال نسخة لي من قصتك الرائعة عن مقابلة الرئيس فرانكلين روزفلت والملك عبد العزيز آل سعود على ظهر الطراد الأمريكي "كوينسي" في البحيرات المرة بقناة السويس في الرابع عشر من فبراير عام ١٩٤٥.

إن قصتك تتفق تماماً وكثير جداً من أحداث اللقاء حيث أمكنني الفهم بسهولة رغم افتقاري التام للغة العربية واستنتاج ملامح شخصية الملك عبد العزيز رغم قصوري اللغوي، سوف أحتفظ بقصتك بين أشيائي الثمينة عن سنوات الحرب.

أهنئك لمساعيك المشكورة نيابة عن كل الأصدقاء العرب الذين حضروا ذلك اللقاء ولو أمهل القدر الرئيس روزفلت أكثر من ذلك لكان نجاحك أعظم بكثير.

مع وافر تحياتي

المخلص وليم لاهي

الملك بن سعود

كان عبد العزيز بن سعود، ملك العربية السعودية والذي عرف "بابن سعود" من أعظم الرجال في القرن العشرين. فقد جمع مملكته ووحّد شعبه بقيادته الخاصـــة. واكتسب قدرات قيادية ملحمية كتلك التي اكتشفها "صـــامويل" في "شـــاؤل"[1] بالإضافة إلى تفوقه في المهام العامة التي يتعين على الجميع إنجازها.

كان الملك طويلاً، عريض المنكبين وكان صياداً حاذقاً ومحارباً باسلاً وكـــان ماهراً في استخدام السكين سواء في القتال أو في سلح الخراف. وقد تفوّق في تعقُّب آثار الجمال ومعرفة دهاليز الصحراء، فوجد شعبه فيه حياته وبطولاته مما دعـــاه إلى جعله ملكاً عليهم.

وفي بداية القصة وحّد ابن سعود شبه الجزيرة وضم صناعتيها:

المدن المقدسة مثل مكة والمدينة في الساحل العربي حيث يحج إليها المـــسلمون كل عام من شتى أنحاء العالم.

والبترول في الساحل الشرقي الذي جلب الأمريكان والرخاء الاقتصادي.

كان الملك داهيةً...معلماً لنفسه وفي منتهى الذكاء. وكان يعتقد أن الله قد منح العرب حقيقة الإيمان بينما أعطى الغرب الحديد (قاصداً التكنولوجيا بكل ثمارها من راديو وتليفزيون وطائرة وسكك حديدية ومضخات مياه). وبخلاف كل ما يتفق

[1] حسب التوراة فإن اليهود بعد وفاة يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام في قيادة بـــني إسرائيل ذهبوا إلي نبي لهم يسمى صمويل وطلبوا منه أن يجعل لهم ملكا فاختار لهم صمويل شاؤول ملكـــا لهم.

مع القرآن – الدين والحياة الخاصة والزواج والتعليم والشريعة – كان الملك يقبل الحديد والمهارات التقنية الغربية.

ومنذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٤٦ كنت على صلة به أحدثه بلغته التي كثيراً ما كانت تتسم بالود ولا تتقيد بالتقاليد الدبلوماسية. ومنذ ذلك الحين نال منه الكبر فأصبح ضعيفاً واهناً. وهذه قصة الأعوام التي سبقت ضعفه وأفوله.

كان ابن سعود ما يزال المحارب القوي والملك الراعي لشعبه، يخشاه أعداؤه ويحبوه بنو جلدته وأصدقائه. وكان له من الأبناء – الأحياء – سبعة وثلاثون ولداً، أما البنات فلا يُعد لهن عدذ ولا يُحصى. فالمرأة في الأسرة المسلمة من الشئون الخاصة التي يجب ألا يتعرض لها غريبٌ أو يتناولها أحدٌ من العوام. وقد تزوج الملك على مدى حياته مئة وخمسا وعشرين زوجة رغم عدم وجود ملكة أو أميرة واحدة! وهذا العدد من النساء وإن كان يشير إلى مقدرته العاطفية إلا أنه يفسر استراتيجيته السياسية في توحيد القبائل في شبه الجزيرة العربية، تلك السياسة التي نهجتها الملكة فكتوريا[1] عندما بعثرت ورثتها على عروش أوربا.

وفي شتاء ١٩٤٥ كانت زوجتنا مدام إيدى – وابنتنا الصغرى كارمن – أول سيدة يستقبلها الملك في بلاطه، وكان هذا الاتصال الوحيد بين المرأة الأمريكية والبلاط الملكي السعودي.

---

[1] الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى، عاشت إلي سن الحادية والثمانين، حكمت منها خمسة وستين عاماً (١٨٣٧/ ١٩٠١)، نصبت ملكة في سن السادسة عشرة والتصق اسمها بثلاثة رجال، الأول قبل زواجها كان رئيس وزرائها لورد ملبورن والثاني زوجها الأمير ألبير ثم خادمها الاسكتلندي الشرس جون براون. وحصلت لطول عمرها وسطوتها وتوزع أحفادها علي عدة عروش، علي لقب (أم أوروبا). وفي عهدها سيطرت بريطانيا على العالم بحزام استعماري (٣٣ مليون كيلومترا)، كان يسكنه ربع سكانه (٤٥٠ مليونا) آنذاك.

الإعداد

قبل أن ترسو سفنُ الحلفاء على ساحل شمال أفريقيا في ٨ نـوفمبر ١٩٤٢[١] كان قليلٌ منا ممن يعلمون بموعد ومكان الرسو في ذعر خشية أن يهلوس أحدهم في نومه. كان ضرورياً في تلكم الأيام ألا يلغي أحدٌ منا أي نوع من التزاماته أو يضيف عليها خشية أن يلفت النظر لما يحدث أو يعطي أي إشارة لذلك. فكان يجب على الواحد منا أن يضع خططاً للذهاب إلى الخياط ليقيس ثياباً جديدة أو للحلاق لقص شعره أو أن يدعو الأصدقاء الأسبان لحفل كوكتيل - لن يتم أبداً - لمجرد خلق إيحاءٍ بأن شيئاً لم يحدث.

كنا في جدة واقعين تحت نفس التوتر في فبراير ١٩٤٥.

فقد علمت أن مستر روزفلت وهو في طريق عودته من يالتـا[٢] إلى بـلاده يرغب في مقابلة الملك عبد العزيز سراً على متن طراد بالبحيرات المرة بقناة السويس وكُلفت بترتيب هذا اللقاء.

كانت السرية أول ما يشغلنا لحماية أمن مستر روزفلت فلم تهدأ بعد رحـى الحرب بيننا وبين الألمان وما زالت القنابلُ تنهال على القاهرة وقناة الـسويس وأي هدف يكون أكثر إثارة للألمان من طراد يحمل على متنه الرئيس الأمريكي وملـك العربية السعودية!

---

[١] في هذا اليوم تنزل القوات الأمريكية والبريطانية في عدة نقاط على شواطئ الجزائر والمغرب في شمال إفريقيا الفرنسية. وفشلت قوات فيشي الفرنسية الموالية للنازي في الدفاع ضد قوات الحلفاء.

[٢] مدينة أوكرانية اشتهرت بعد عقد مؤتمر يالتا الشهير فيها في ١١ فبراير ١٩٤٥، وكان لقاء بين روزفلت وتشرشل وستالين وبمقتضاه تم إعادة تقسيم أوروبا إلى غرب رأسمالي وشرق شيوعي.

وقبل الرحيل بيوم أو يومين فقط كان في المملكة كلها خمسة أفراد فقط يعلمون بهذا اللقاء: الملك ووزير خارجيته يوسف ياسين[1] وعامل الشفرة في المفوضية الأمريكية والسيدة إيدى وأنا. وكان الملك قد أتى منذ عدة أيام من مكة إلى جدة – ٥٥ ميل – في زيارته السنوية التي يقابل خلالها المسئولين والوجهاء بالحجاز ويقبل الالتماسات من شعبه ويوزع الصدقات والطعام على الفقراء.

وقبل الموعد بأسبوع أعلنا أن المدمرة "ميرفي" سوف تلقى بمرساها في ميناء جده في زيارة قصيرة أثناء إبحارها الروتيني في مياه البحر الأحمر. هذا مما أثار بعض التعليقات نظراً لأن البحرية الأمريكية لم يكن يوجد لها أي سفينة بجدة، غير أن الزيارة الأولى لم تُقابل بأي شكوك أو شائعات.

وفي صبيحة اليوم الذي سبق الرحيل – ١١ فبراير ١٩٤٥ – هبط كل من العميد بحري جون كاتنج والكابتن سمث من على ظهر المدمرة ميرفي لتقديم الاحترامات للملك ولقصر جدة ولولي عهد الحجاز الأمير فيصل والحاكم جدة.

وفي المساء كانت السيدة إيدى دعت إلى حفل عشاء بالمفوضية الأمريكية ستة عشرة من بين واحد وعشرين مسئولاً على ظهر السفينة استطاعوا الهبوط، وكذا كل الأمريكان المحيطين بالمنطقة ليبلغ عددهم خمسة وأربعين فرداً، وهو أكبر تجمع للأمريكان في جده حتى الآن.

وكان جديراً بالملاحظة أن يُحفظ هذا السر في جده تلك المدينة التي تنتشر فيها الأخبار حقيقية كانت أو زائفة بسرعة الضوء عبر الأسواق، فقد ساعد على هذه السرية حقيقة هي أن الملك لم يغادر المملكة العربية السعودية حتى لزيارة جيرانه

---

[1] السياسي السوري يوسف ياسين انضم إلى مستشاري الملك عبد العزيز بن سعود بعد ضم الحجاز للدولة السعودية عام ١٩٢٥ وكان رسميا وزير دولة، وزير خارجية بالنيابة.

من السكان العرب. وقد ساعد المستر روزفلت في إخفائه المعلومات عن البريطانيين أنه قد أخبر مستر تشرشل بذكاء في الليلة التي سبقت رحيلهم من يالتا بأنه ينوى مقابلة ثلاثة من حكام الشرق الأوسط، هم:

ابن سعود.

وفاروق ملك مصر.

وهيلاسلاسي إمبراطور الحبشة.

غير أن تشرشل لم يطرب لهذا المشروع وهتف لجميع دبلوماسييه في المنطقة طالبا منهم تحديد مواعيد له مع نفس الحكام بعد مقابلة روزفلت لهم. فقد كان تشرشل يتميز غيظاً كلما علم بأن أمريكا قد أقامت جسوراً مباشرة مع حكام تلكم الدول في منطقة يعتبرها الإنجليز من احتكاراهم الخاصة...ولم لا وهي تحت سيطرهم منذ أعوام طويلة. وقد كان واضحاً أنه قد فكر حقا وهو على رأس حكومة بريطانية غير متعاونة في القيام بهذه الزيارة لاسيما أن أحداً من البريطانيين لم يكن موجوداً ليسمع ما يدور في المحادثات. وكان قد تقرَّر بالفعل مقابلة هؤلاء الملوك الثلاثة بأقصى سرعة ممكنة لحماية الموقف البريطاني.

وقد نجح تشرشل بالفعل في مقابلتهم جميعاً بعد مغادرة روزفلت ولكن دون أن يحقق أيا من أغراضه؛ فلم يستطع الحديث مع فاروق الذي يكن كراهية للإنجليز، ولم يأته ردٌ من ابن سعود حول رغبته في لقائه حتى يحصل على موافقة روزفلت حيث كان في طريق لمقابلة روزفلت ولم يشأ إزعاج ضيفه الكبير.

ولا أدعي العلم بأن مقابلة ابن سعود لتشرشل في بحيرة الفيوم بالقرب من القاهرة كانت ناجحة أم لا من وجهة نظر الإنجليز ولكني أعلم جيداً أن الملك لم يستمتع وهو في طريق عودته إلى جدة. ولما كان الأمريكان قد اتوا به إلى قناة

السويس على متن مدمرة أمريكية فقد عرض عليه الإنجليز عزمهم على إعادته على متن مدمرة بريطانية استعراضاً للمقام الرفيع لبريطانيا العظمى. ولم يكتمني الملك - فيما بعد سراً بان طريق عودته كان مملاً، فلم يتذوق للأكل طعماً ولم يشهد استعراضاً حربياً ولم تُنصب خيمةٌ على ظهر المركب ولم يأتلف طاقم السفينة معهم كعرب، ومما لا شك فيه أنه كان يفضل العودة على متن مدمرة أمريكية ولو صغيرة ليحظى فيها بودٍ عظيم.

وعودة لما حدث من ترتيبات الرحيل...ففي الثالثة عصراً من يوم الانطلاق الثاني عشر من نوفمبر ١٩٤٥ وببساطة لا تخلو من مفاجئة أعطى الملك أوامره لقصر جدة لفض المعسكر وطي الخيام استعداداً للعودة إلى مكة.

ولم يكن من غريب أمر؛ حيث كان الملك يتخذ مثل هذه القرارات دون أي إشارة مسبقة ومطالباً بالتنفيذ الفوري. وأبرق لولي عهده في الرياض الأمير سعود مخبراً إياه أن يحكم البلاد باسمه حتى إشعار آخر، وطلب ابنه الثاني الأمير فيصل ليخبره بأمر رحلته والغرض منه، وأعطاه تعليمات بتحمل المسئولية كاملة في الحجاز واتخاذ أي إجراءات يراها ضرورية في جده ومكة وأي مكان آخر. ثم أعلن أسماء من سيرحلون معه إلى مكة، واستقل سيادته وأعطى أوامره بالتحرك ولكن ليس إلى مكة بل إلى ميناء جدة.

وهناك كانت لنشات المدمرة ميرفي تنتظر، حيث صعد الملك ومن معه إلى ظهر المدمرة التي رفعت مرساها في الرابعة والنصف بادئة رحلتها إلى قناة السويس وتاركة جدة خلفها غارقة في بحر من ظنون، فقد انطلقت الشائعات في سرعة السهام أو البرق ليدحض بعضها بعضا تاركة الناس وقد أُسقط في يدهم.

وبفعل ذكريات بعيدة روّج الأعداء الهاشميون أن الملك قد ترك أرضه وهجر شعبه مثلما فعل الملك حسين عندما غادر مكة إلى الخارج على ظهر سفينة حربية

بريطانية منذ جيل مضى، ومن قائل بملء فيه إن الأمريكان قد اختطفوا الملك...غير أن الحقيقة لم يكن ليعرفها سوى من ركب السفينة ومضى في حال سبيله.

فارتدت نساء الملك ملابس الحداد ووضعن على رؤسهن التراب وذهبن جماعة للأمير فيصل يبكين وينتحين لهجر مليكهن لهن فأمرهن فيصل بالعودة لأماكنهن قائلاً: بالله ... لماذا هذه الفوضى؟ لقد أخبرني منذ ساعة فقط برحيله وترك المملكة على مسئوليتي".

ومن ناحية أخرى فقد غضبت الجالية البريطانية في جده من اكتساح الأمريكان لهم.

وفي تلك الليلة ذهبت مدام إيدي بمفردها إلى حفل عشاء بريطاني كنا قد قبلنا دعوته سويا وعلقت قائلة: "رغم دوام الحر القائظ لمناخ جدة إلا أنه كان هناك برودة ليس لها مثيل!".

الصعود إلى السفينة

قبل ساعات من وصول اللنشات التي تقل الوفد العربي إلى المدمرة وصلت بعض المراكب الشراعية حملة بأطنان من الخضراوات وأكياس الذرة والأرز ومائة من أجود وأسمن الخراف الحية، وبتعبير آخر كانت هذه هي المؤن الطبيعية التي يتزود بها الملك عند إقامته المؤقتة في الصحراء. وأعطى الملك أوامره بأن يأكل من عطاياه كل من على ظهر السفينة، وضمن ذلك البحارة الأمريكان الذين أتوا إلى السعودية.

وسبق الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية الملك إلى ظهر السفينة وأخبر قائدها العميد "كتينج" بأن لديه أوامر ملكية تستوجب تحميل كل هذه المؤن بما فيها المائة خروف، غير أن القائد كان لديه أوامر ثابتة ومختلفة تماماً من البحرية الأمريكية، ومن حسن حظه أنه استطاع أن يراوغ في تنفيذ تلك الأوامر حتى وصلتُ مع الملك متذرعاً بعدم فهمه التام لما يطلب منه بسبب تعثُّر المترجم وعدم وضوح الترجمة.

وسرعان ما كنت معهم وأوضحت للملك أن لدي قائد المدمرة مؤناً بالخزائن تكفي لستين يوماً ولكل من بالمركب. فأجاب الملك بأنه ليس هناك خلاف ولكن يجب على ضيوفه الأمريكان أن يأكلوا من مائدته ومن نتاج بلده، لاسيما أنهم سيأكلون لحم ضان يوماً بيوم. فأجاب القائد بأن خزائنه تحتوي أيضاً على اللحوم المجمدة التي تكفي استهلاك الجميع وتفيض.

ولم يكن لدي الملك في بلاده أي معلومة أو خبرة عن أجهزة التبريد، حيث إن اللحوم تفسد عندهم خلال أربع وعشرين ساعة ولم يبال بهذا الاقتراح الخرافي – بأن

الفرد يستطيع أن يأكل من لحوم مضى على ذبحها ستة أيام، مصرا على أن خرافه سوف تذبح يومياً على ظهر السفينة.

وأخيراً كان يجب أن نخبره بأن البحارة سوف يودعون السجون إذا هم لم يطيعوا تعليمات البحرية وأكلوا أي شيء غير ما خُصص لهم وزُودوا به؛ وبالتأكيد لم يرض لهؤلاء البحارة المهرة أن تُلحق بهم إهانة أو يلقوا في السجون بسبب غير ذي شأن! فوافق هازاً رأسه بطريقة فضولي غير مصدق، مؤكدا أن العرب كمسلمين حقيقيين يجب أن يحافظوا على شعائرهم ونُظم بلادهم الغذائية، فلا يأكل المسلم السعودي أبداً لحماً مضى عليه أكثر من أربع وعشرين ساعة. فنظر إلى العميد "كتينج" ووافق أخيرا على أخذ سبعة من الخراف المائة الحية إلى ظهر السفينة. وبمجرد أن غادرت "مرفى" ميناء جده ذهل البحارة لما رأوا واحدة من الشياه السبع تُسلخ على مؤخرة المدمرة.

كانت تعليمات الحكومة الأمريكية لي بألا يزيد الوفد العربي المصاحب للملك عن أربعة من الأعيان وتسعة على الأكثر ما بين حارس وخادم، وكان ذلك من وجهة النظر الأمريكية أكثر مما ينبغي حيث إن كل ما يتطلبه الملك في رحلة غيابه سوف يزود به.

وهذا التحديد في العدد فُرض مقابل العجز في المساحة على ظهر المدمرة من ناحية ولتسهيل سرية اللقاء من ناحية أخرى؛ حيث إن العدد الصغير يمكنه التحرك بشكل أيسر من العدد الكبير.

وحملت الدعوة مشروطة بهذه الشروط ولكني حذرت حكومتي من احتمال زيادة العدد إلى الضعف بعد أن يصعد الملك إلى ظهر المدمرة لأنني أعلم بالمنافسة التي سوف تدور بين الأمراء وآخرين لمصاحبة الملك وليس من عادة الملك في رحلاته أن يصطحب كثيراً من المرافقين بما يتفق وأسلوب القائد البدوي. وأسّر لي يوسف ياسين

في اللقاءات التمهيدية بأن الوفد العربي سوف يضم حريم الملك حيث إن الملك لا يستطيع السفر بدون كل ما يؤمن الراحة ويُشبع الحاجة له ولأسرته ولرجاله. وكان يمكن تلاشي ذلك بإيضاح عدم إمكانية تجهيز مكان منعزل على ظهر المدمرة حيث إن سلالمها ودرجها يجب أن يبقى مكشوفاً حتى يتمكن البحارة من إنجاز عملهم، وأكدتُ له أن الملك لن يرضى لنسائه أن يجتزن درج المدمرة الشاهق الضيق تحسباً لأي تمايل في السفينة يطرحهن أرضاً أو على الأقل يكشف النقاب عن وجوههن فصدم يوسف ياسين وأحبط عندما علم أنه لا يمكن أن يفصل نصف السفينة بستار التخصيص لاستعمال الملك الشخصي، فأخبرته بأن السفينة لا يمكنها أن تبحر بهذه الطريقة ويجب علينا أن نوفر أكبر مساحة ممكنة.

ولم يكن عدد الوفد العربي الذي صعد أخيرا اثني عشر بل ثمانية وأربعون وكان من الممكن أن يصل إلى المائة لولا الضغط القوي الذي مارسناه للحفاظ على ذلك. ولم يكن لمثل هذا العدد أي تجهيزات على سطح المدمرة. فجهزت كابينة القائد للملك، وأُعطيت ثلاث مكاتب أخرى لكل من: شقيق الملك الأصغر الأمير عبد الله، وابنه الثالث الأمير محمد، وابنه السادس الأمير منصور وزير الدفاع. والكابينة الثانية تقاسمها كل من: يوسف ياسين وزير الخارجية (بالنيابة)، وعبد الله السليمان وزير المالية[1]، وحافظ وهبه الوزير المفوض[2]، وقد وضعت الوسائد بحيث يستطيعون

---

[1] عبد الله السليمان الحمدان أول سعودي يحمل لقب وزير، وذلك عند توليه مديرية المالية العامة سنة ١٩٢٥. ولد سنة ١٨٨٧ (١٣٠٥ هـ) في عنيزة. استقرّ في الرياض سنة ١٩١٣ (١٣٣١ هـ)، واتصل بالملك عبد العزيز سنة ١٩١٧ (١٣٣٨هـ)، وفي سنة ١٩٢٧ (١٣٤٦هـ) تم إنشاء (مديرية المالية العامة) في مكة المكرمة، وأوكلت لعبد الله السليمان مسؤولية إدارتها، وأصبح منذ ذلك الوقت يلقب بـ (الوزير)، ويذكر أنه الذي وقع بأمر الملك عبد العزيز، اتفاقية الامتياز المشهورة بين السعودية وشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا (سوكال) ٢٩ مايو ١٩٣٣ (٤ صفر ١٣٥٢هـ).

[2] حافظ وهبة، رجل خدم الدولة السعودية في بدايات تأسيسها، بعد حضوره إثر دعوة تلقاها من الملك عبد العزيز، وكان قد أُبعد عن مصر وجال ودار في العالم حتى حل ضيفا على الملك المؤسس،

الحصول على مساحة كافية، فنام كثير منهم في أبراج السفينة ملتفاً بعباءته العربية أو تحت أقدام الحراس.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكرهم كان الوفد العربي يضم طبيب الملك الخاص ماجد بن خثيلة وحراس وخدم لصب القهوة (هذا الشكل من الفخامة والأبهة الذي يتنافى مع عباءة الملك البسيطة غير المرصعة بالجواهر والمصنوعة من وبر الجمال) . كما كان الوفد العربي يضم طباخين ومساعدين لهم ورقيق.

ولم ينم الملك في كابينة القائد، فمن وُلد مثله وتربى في الصحراء لا تعطيه أربعة حوائط إلا داهمه مرض الخوف من الأماكن المغلقة.

وفردت الأشرعة على ظهر المدمرة واتوا بأحد كراسيه الضخمة جداً والذي جلبوه من الخارج ليجلس عليه. ولكن الملك افترش ظهر السفينة ليعقد مجلسه المعتاد طوال اليوم. وفي أوقات الصلاة كان يعطيه الملاح الاتجاه المضبوط لمكة ثم يتأكد الملك من المنجم؛ ومستقبلاً البلد الطاهر كان يؤم كل مرافقيه في جميع أوقات الصلاة.

فأصبح مستشاره. ساعد على تطوير النظام التعليمي كما أنه صمم العلم السعودي. ولد حافظ وهبة في حي "بولاق" بالقاهرة عام ١٣٠٧هـ ١٥ يوليو ١٨٨٩م تعلم في الأزهر ثم تنقل في دول الخليج مدرسا للغة العربية وعمل بالتجارة، وخلال وجوده في الكويت تعرف على الملك عبد العزيز وبعد سنوات تلقى دعوة من الملك عبد العزيز للحضور إلى المملكة وعينه الملك مستشاراً سياسياً، ثمّ عينه فيما بعد عام ١٩٣٠م، سفيراً للمملكة في بريطانيا فكان أول سفير سعودي فيها وكان له بصمات واضحة في تطوير العلاقات بين الدولتين. كما عين وزيرا مفوضا في هولندا ١٣٥٠هـ.

الرحلة

استغرقت الرحلة من جدة إلى السويس يوماً وليليتين. ولن أتناول تلكم الرحلة بالتفصيل لأن الكابتن جون. س. كيتنج[1] قد تناول قصة الأيام التي قضيناها على ظهر المدمرة ميرفي بالوصف الدرامي الحي.

كانت الرحلة في غاية السرور وكان الجو في غاية الروعة وكان البحارة أيضاً في غاية العجب والدهشة من العرب وطريقتهم في الحياة أكثر من دهشة العرب أنفسهم من شكل الحياة على ظهر المدمرة. فكلا الفريقين لم يشهد مثيلا لهذه من قبل، وأي تقليد غير طبيعي يصبح حديث من هم على ظهر المدمرة حيث إن العرب يقبلون الأحاديث العجيبة وغير المحتملة سواء الواردة في "ألف ليلة وليلة" أو في الحياة الواقعية.

فالعربي بطبيعته مؤمن بالقضاء والقدر ويقبل شتى الأمور سواء المتوقعة أو التي يعتبرها هبة من الله وكل هذه الهبات تثير العجب والدهشة فهي غير مستحقة وغير مفسرة. فالعربي يترل من على ظهر الجمل ليركب الطائرة دون أي نشاط خاص أو قدرات خاصة حتى لو كان قد تخطى جميع المراحل الطارئة ما بين الجمل والطائرة من حصان "وكرته"[2] وسيارة . فكما منح الله الجمل المؤهلات المناسبة ليمشي على الرمال منح الطائرة جناحين لتطير مثل الطيور! ولهذا فلابد يُدهش العربي من الطائرة أكثر من دهشته للجمل الذي يمشي والطائر الذي يطير.

---

(1) True Magazine, December, 1953; See also Life, March 19, 1945.

(2) الكرته: لفظ ذو أصل غير عربي في العامية المصرية يطلق على العربة الخشبية المغلقة التي يجرها حصان واحد – المترجم.

وسرعان ما دبت أواصر التآخي والصداقة بين العــرب والبحــارة بــشكل مدهش. وكان البحارة يشرحون للعرب كيفية القيام بمهامهم بل يــسمحون لهــم بمساعدقم. في طريق العودة كان العرب يسمحون للبحــارة بــتفحص ملابــسهم وخناجرهم شارحين – بالإشارة – كيف صُنعت ولأي غرض. وكان العرب في حيرة من أمر هؤلاء الزنوج علي ظهر السفينة مؤكدين على أهم أعراب مثلهم ومصرين على محادثتهم بالعربية، رغم أن الزنوج الوحيدين المعروفين لهم هم هــؤلاء الــذين جلبوهم للملكة كرقيق منذ أعوامٍ مضت.

وبصعوبة بالغة اقتنعوا أن هؤلاء الزنوج ليسوا فقط مواطنين أمريكان بل جزء من أفراد الأسطول الأمريكي مثلهم مثل زملائهم من البحارة البيض. وفي صــباح اليوم الأول بعد أن قدم الخادم الزنجي (ومن المفارقة أنه كان يدعى وايت White)[1] وجبة إفطار للملك، وهي عبارة عن فاكهة وقهوة وبيض عاد بعد قليل حاملاً مــلء طبق من القطائف المحلاة وإبريقاً به شرابٌ لفاكهة فتبسم الملك معلناً أنه قد شبع ولا يطمع في المزيد، فنظر يوسف ياسين الذي كان قريباً من الملك إلى الطبق بنهم ولاحظ الملك تلكم النظرة الجائعة للقطائف فقال له: أنت بدين يا يوسف ونحتاج إلى مزيــد من الطعام، فهلا أكلت هذه القطائف.

ولم يفهم الخادم أن الملك قد أذن له بالطعام لأن الحديث كان بالعربية وما إن مد يوسف ياسين يده للقطائف حتى سحبها الخادم من أمامه قائلاً: إن هذه القطائف معدة خصيصاً لجلالة الملك ولا يمكن لغيره أن يتناول منها واحدة. وعندما تُرجم هذا المقطع من كلام الخادم للعربية وقع يوسف ياسين مادة للهو والتسلية للعرب أنفسهم وخرج "وايت" بالقطائف.

---

(1) أي أبيض بالعربية – المترجم.

وخلال الرحلة تعرف الملك على أطباق أمريكية شهية لم يتذوقها من قبل وكان مغرماً بشكل خاص بالتفاح الأمريكي وفطيرة التفاح المحلاة بالمثلجات ومنذ ذلك الحين وثمار التفاح الأمريكي تُزرع في محطة الزراعة التجريبية في "الخرج".

وفي الليلة الأخيرة على السفينة أمر الملك أن يستضيف على مائدته العربية واحداً وعشرين من ضباط الأسطول فجلسوا جميعاً القرفصاء متحلقين حول الملك الذي كان في قمة مزاجه فسامرهم بنوادر معاركه التي كانت تبعث البهجة والسرور واصفاً لهم تلكم المعارك، مظهراً أحد أصابعه الذي كُسر منذ أعوام مضت عندما أصابته شظية من قذيفة تركية وما زال متيبساً حتى الآن.

وفي أثناء النهار كان الملك يستمع إلى شرح عن المدافع المضادة للطيران وعن القنابل التي كانوا يسقطونها على أهداف تجرها السفينة. وقد لاحظ الاهتمام الصارم بشتى أنواعه بين القوات. وكان المصورون يلتقطون له الصور ويصورونه سينمائياً مع طاقم السفينة. وبعد تناول العشاء وقبل أن يؤوى الملك إلى فراشه مبكراً كما يفعل دائماً كان يُعرض عليه وصحبه صور الأفلام الوثائقية على ظهر السفينة. وكان يطيب له مشاهدة الأفلام السينمائية الملونة عن حاملة الطائرات المسماه "فايتنج لادي"[1] حيث أعرب عن روعتها وكان يقول: أشك أن شعبي سوف يمتلك مثل هذه الأفلام الرائعة لأنها سوف تفتح شهيته للتسلية والترفيه، الأمر الذي من شأنه أن يبعده عن واجبات دينه. فقد نمى إلى علمه مما لاشك فيه قصص الخطيئة وبؤر الفساد في القاهرة حيث أصبحت أفلام هوليود العابثة اللعوب من الأمور الشعبية المحبوبة.

قلتُ قبل ذلك إن الجميع قد استمتع بوقت طيب أثناء الرحلة، ولكنني الوحيد الذي لم يستمتع بهذا الوقت. فقد مثلت الأفلام مشكلة حقيقية. فبعد عرض الأفلام الوثائقية، وبعد أن يؤوى الملك إلى فراشه، كانت تُعرض بعد ذلك أفلام

---

(1) Fighting Lady أي السيدة المحاربة – المترجم.

السفينة المعتادة للملاحين. فتسرب هذا السر إلى مسامع الأمير منصور ثالث أبناء الملك فانتحى بي جانباً إلى جوار السياج سائلاً إن كنت أفضل أن أموت دفعة واحدة أو أن يقطعني أرباً أرباً! فسألته: ولماذا؟ فقال إن أفلام هوليود كانت تُعرض على ظهر المدمرة ولم يُدع لمشاهدتها. فلما استولى عليّ الذعرُ والمذلة ذكرته بأن أباه الملك لن يسمح لأي عربي – فما بالك بابنه – بمشاهدة هذه الصور الكافرة لنساء نصف عرايا. واستسمحته أن ينسى الأمر فأجاب باقتضاب بيد أن ما قاله كان صارماً، فإما أن يرى هذه الأفلام وإما أن يُيتم أولادي. ثم اقسم إن أنا أطلعته فسوف يحفظ السر ولن يبوح به لوالده.

وباختصار كان الأمير محمد وأخيه الصغر الأمير منصور على رأس الصفوف لمشاهدة العرض المتأخر للملاحين تلك الليلة وكانت تقوم ببطولة ذلك الفيلم الممثلة لوشل بل حيث كانت تقوم بدور سيدة نزلت إلى مساكن النوم المخصصة للطلبة عن طريق الخطأ وكانت تنجو بأعجوبة من المغامرات والأعمال الطائشة بقميصها الممزق. وقد قابل الجميع بما فيهم الأميران الفيلم بالصفير والتصفيق والهتاف استحساناً له وتحيةً لمن عرضوه. وفي العرض الثاني للفيلم كان من بين الحضور ما لا يقل عن خمسة وعشرين عربيا ومن حسن الحظ أنني قد علمت أن أخبار هذه الجلسات العربية لم تصل لآذان الملك.

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك بالنسبة لي مشاكل لا حصر لها فانا الوحيد الذي يمثل حلقة الوصل في اللغة والعادات بين ٢٦٩ من طاقم البحرية و٤٨ من العرب على ظهر السفينة. فكنت أعمل أربعاً وعشرين ساعة بين الترجمة والوساطة. فكان يتعين عليّ إيقاف الخدم العرب عن صنع القهوة بالفحم فوق الديناميت، وتوجيه البحارة لعدم المرور من خلف العرب أو أمامهم أثناء الصلاة؛ فلا يجوز لغير المؤمن أن يلقي بظله ما بين المصلي المسلم ومكة وكنت أحاول بطريقة أو أخرى

تحديد مكان أي عربي أو العثور على آخر فُقد في متاهات السفينة في الوقت الـــذي يطلبه فيه الملك فجأة.

وفي واحدة من مثل هذه المناسبات اختفى أحد الأبناء تحت أفق البحر الأحمر وكان الملك يستعد ليؤم صلاة المغرب فسأل: أين منصور؟ ولم يكن أحدٌ يعرف مكانه فطلب الملك العثور عليه وإحضاره. وكان الأمير منصور قد فُقد أثره وتاه في مكانٍ ما. فربما كان قد وصل إلى مؤخرة السفينة عن طريق الخطــأ ولم يــستطع العــودة لمقدمتها حتى ينتهي المصلون من صلاقم. وكان الملك في قمة غضبه وأخيراً كنا جميعاً واقفين في منتهى الهدوء على مقربة من منصور حتى انتـــهى مـــن صـــلاته كاملـــة وصحيحة.

وفي الصلاة تجد ورع المسلمين فلا توجد درجات أو طبقات أو مقاعد أمامية فلله الأمر كله وما الإنسان إلا شيء تافه، وتلك الفوارق في الطبقات بين البشر لا تزن أمام وجه الله جناح بعوضة. فلا فرق بين أمير وعبـــد ولا يُـــسمح للأمـــير أن ينحرف أو يتخلى عن واجبات دينه. وقد أعلنها الملك صريحة للجميع أن ابنـــه لا يتمتع بامتيازات أكثر مما أجاز الله. والإيمان بوحدانية الله وتفرده وقدرته على كـــل شيء واضحة في أقوال المسلم حيث يقول:

مهما اعترتك الأفكار ....

صدقني

الله ليس كذلك[1].

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى "ليس كمثله شيء" (الشورى – ١١) وقد أصدرت المستشرقة الألمانية المعروفة الراحلة سيجريد هونكة كتابا عن عقيدة المسلمين في رب العزة كان عنوانه "الله ليس كذلك".

ومن الأمور المؤكدة مفهوم سيادة الله وتفريده بعيدا عن المفهــوم المــسيحي القائل بأن الله قد هبط في جسد إنسان. فلا يستطيع المسلم أن يدعو الله بــ "الأب" لأن "الأب" مجرد مفهوم بشري. ولا يؤذي شعور المسلم سوى استخدام المــسيحي لبعض العبارات مثل "ابن الله" و"أم الله ".

وفي صباح اليوم الذي سبق النزول من السفينة وزع الملك العطايا بما يتفــق وعادات العرب. فقد أعطى لكل من القائد والكابتن زياً عربياً وخناجر فضية ولكل ملاح أعطى زياً عربياً وساعة منقوش عليها اسم الملك، وأعلن في مكبر الصوت على جميع العاملين بالسفينة أنه لما شاهده الملك من مجاملة وتقدير فقد منح كل مــسئول ١٥ جنيها استرلينيا ولكل ملاح عشرة جنيهات. وبعد ذلك قام الكابتن بترتيبــات خاصة لتحويل هذه الأموال للبحارة من بورسعيد إلى دولارات.

وسألني القائد والكابتن عما يقدمانه للملك فأخبرهم أن يعطياه تذكاراً مــن الرحلة فأعطياه شيئاً مما كان يُعجب به: مدفعين رشاشين وزوجا من نظارات البحرية الميدانية. ولقد كان من اليسير فعلاً وصف رد فعل البحارة من غرابة ولطف وسحر وهؤلاء المسافرين العرب.

وليس أدل على ذلك من تجربة طبيب السفينة الذي حالما وصل الطراد الذي يحمل الرئيس في قناة السويس حتى اجتاز المعبر باحثاً عن طبيب البحرية حيث وجده مُحتجزاً بمستشفى السفينة ولم يكن موجوداً على ظهرها لمشاهدة وصــول المــدمرة واجتاز المعبر. وفى شيء من السعادة أو ربما ليترك انطباعا عن مواهبه ذكر طبيــب المدمرة شيئاً عن آخر يومين فقال: كان سطح السفينة مفروشاً بالــسجاد الــشرقي وكانت القهوة تصنع على الفحم في أبراج السفينة وسبعة من العبيد النوبيين يطوفون السفينة معقعقعين بسيوفهم المعقوفة التي تهتز في أحزمتهم..وكانت الخراف الحية تذبح يومياً على مقدمة السفينة.. إلخ. وكان أقدم مسئول عن العناية الطبيــة بــالطراد

"كوينسي" يرمقه بحدة ويسأله بصوت حنون: هل أعجبتك الحياة على ظهر المدمرة ؟ هل استمتعت بنومك؟ هل تعرضت لأي إجهاد؟ اجلس هنا ودخن سيجارة واسترح". وكان طبيب المدمرة ميرفي ساخطاً جداً ويصير على أنه رأى بعيني رأسه ترف الشرق والغرب معاً حيث إنه لم ير بذخاً اقتصادياً أغرب مما رآه على ظهر مركب أمريكي بالسويس.

المقابلة

في العاشرة من صباح الرابع عشر من فبراير عام ١٩٤٥ رست المدمرة "ميرفي" في البحيرات المرة بقناة السويس بجانب الطراد كوينسي الذي كان يقبل الرئيس من الولايات المتحدة إلى يالتا ومنها إلى بلاده. كان ظهر الطراد "كوينسي" مزوداً بالرجال بيد أنه لم تطلق رصاصة تحية واحدة لأن اللقاء كان يتم بعيداً عن علم الدول المجاورة.

اجتاز الملك والأمراء الثلاثة والوزيران المعبر ليقابلوا الرئيس الذي كان جالساً على كرسيه المتحرك على ظهر الطراد..وأستغرق الحديث بين الملك والرئيس ساعة وربع الساعة وبعد تبادل التحيات سأل الملك الرئيس تواً عن رأيه في دعوة تشرشل لمقابلة – هذه المقابلة التي كان يظن الملك أنها سوف تثير استياء الرئيس بيد أن الرئيس. بادره بقوله: ولم لا؟ إنني أستمتع برؤية السيد تشرشل وعلى يقين من أنك أيضاً سوف تحبه".

وفى الحادية عشرة والنصف كان ميعاد الغذاء قد حان فقال لي الأميرال لاهي: "اهبط أنت والملك في أحد المصاعد إلى حجرة الطعام الخاصة بالرئيس وسأحضر أنا الرئيس في المصعد الآخر" فصحبت الملك إلى جناح الرئيس الخاص حيث كان لديه من الوقت ليغتسل ويتهيأ قبل أن يأتي الرئيس في كرسيه المتحرك. وأخبرني الأميرال لاهي فيما بعد أنه وهو في طريقة للملك أضاء الرئيس النور الأحمر وأوقف المصعد ودخن سيجارتين. وبعيداً عن مجاملة المذهب الوهابي الذي يعتنقه الملك لم يشأ الرئيس – وهو المدخن الشره – أن يدخن في حضرة الملك على الإطلاق وقد حضر الغذاء إلى جانب الملك والرئيس كل من: الأمراء الثلاثة ويوسف ياسين وعبد الله السليمان

والأميرال لاهي وكارلوس بولن. وبعد الغذاء انسحب الجميع سوى الرئيس والملك ويوسف ياسين وأنا كمترجم لمواصلة المحادثات السياسية حتى الثالثة والنصف ليقضوا مع بعضهم خمس ساعات مجهدة.

في الثالثة والنصف عصراً أتى كابتن الطراد "كوينسي" ليعلن أنه قد حان الوقت للرحيل. فقال الملك: "هذا مستحيل فلا بد أن يأتي الرئيس أولاً إلى المدمرة – مترله المؤقت – ليكون ضيفا على مائدته العربية، حيث إن مثل هذه الصداقات لا تقوم لها قائمة إلا إذا أكرم وفادة صديقه وقدم له وجبة عربية. فأعرب الرئيس عن أسفه لعدم قبول دعوة الملك حيث إن تصاريح الأمن للسفن المرافقة لحمايته لا يمكن تجاوزها ولا يمكن التعديل في البرنامج. فبدا الملك في قمة غضبه واستدار إلى لائماً – بلغة عربية – لأنني لم أنبهه لمثل هذه الترتيبات حيث كان يمكنه استضافة الرئيس بدلاً من الترول ضيفاً عليه. فأخبرته بصدق أنني لا أعلم شيئاً عن برنامج سفن الحماية. فقال الملك للرئيس: "ألا تأخذ على الأقل فنجاناً من القهوة العربية؟" وكانت الأوامر قد صدرت فظهر في دقائق معدودة نادلان في جناح الرئيس وقدما لكليهما القهوة. وفى اليوم التالي أخبرني الرئيس أنه لم يمس شغاف قلبه شيء" أكثر من سعادته عندما قدم له الملك – وهو صديقه الجديد – القهوة من العربية السعودية. واستأذن الملك وصحبه في الانصراف، واجتازوا المعبر مسرعين إلى المدمرة "ميرفي" قبل أن يرفع الطراد كوينسي مرساته ليبحر سريعا إلى بور سعيد.

لقد ألف كل منها الأخر. ومن بين الكثير من الفقرات الممتعة في الحديث أورد بعضاً مما قاله الملك للرئيس مؤكداً أن أحدهما لابد وأنه توأم للآخر:

(١) كلاهما يبلغ السن نفسها (وإن كانت هذه المعلومة ليست صحيحة تماماً).

(٢) كلاهما قائد لدولة يضطلع بمسئوليات خطيرة من دفاع وحماية وإطعام لشعبه.

(٣) كلاهما مزارع. فقد أحرز الرئيس ضربة كبيرة عندما أكد للملك على مسؤلياته الريفية كمالك رئيس للـ (هايد بارك) واهتمامه بالزراعة.

(٤) ولد كل منها ولديه عجز جسماني، فالرئيس مجبر على استعمال كرسي متحرك والملك يمشي بصعوبة ولا يستطيع تسلق درجات سلم بسبب جروح رجليه.

وبمناسبة العوائق الجسمانية فقد قال الرئيس للملك: إنك أكثر حظا مني لأنك ما زلت قادراً على استعمال رجليك عند سيرك ولكني أحمل أينما ذهبت. فرد الملك: لا يا صديقي، بل أنت صاحب هذا الحظ، فكرسيك يحملك إلى أي مكان تود الذهاب إليه وأنت تعلم أنت سوف تستطيع الوصول، أما رجلاي فلا يعول عليهما ويزدادن ضعفاً يوماً بعد يوم. فقال له الرئيس: إذا كان هذا هو ظنك بالنسبة للكرسي فسأعطيك واحداً حيث إن لدى اثنان على ظهر المركب. وصدر الأمر سريعاً وحمل واحداً منها ليستقر على ظهر المدمرة "ميرفي".

وكلما صحب الملك رفاقه إلى قصره في الرياض أراهم حجرته الخاصة مستقراً بها كرسيه المتحرك وأشياء أخرى من البيت الأبيض. وكان يقول الملك دائما: إن هذا الكرسى من أعز ممتلكاتي فهو هدية صديقى العظيم الودود الرئيس روزفلت، رحمه الله، ورغم أن الملك استخدم مؤخراً كرسياً متحركاً إلا أنه لم يستخدم ذلك الكرسي الذي أهداه إليه روزفلت حيث إنه كان مصمماً خصيصاً للرئيس الذي كان نحيلاً وضئيلاً. فكيف له أن يتسع لمثل من في قامة الملك وبنية جسمه الهائلة.

وطول هذا الوقت كان الرئيس روزفلت في قمة مزاجه، ولم لا والمضيف لطيف والمتحدث فكه، وكيف لا تلمع عيناه وترتسم الابتسامة على وجهه، تلك التي طالما أسرت مستمعيه عندما يحدثهم كصديق. ولكم وددت أن أراه مرخي الجفون أو

غير متيقظ، فوجهه شاحب والخطوط فيه عميقة وعيناه ذابلتان ضعيفتان من أثر القلق. فقد كان الرئيس يحيا على أعصابه. رغم أن أطباءه نصحوه بعدم الذهاب إلى يالتا إلا أنه كان في أحلى أطواره مع ابن سعود – تراه كان يستجدي الأيام..أم تراه كان يعلم أن الموت ينتظره بعد ثمانية أسابيع؟

في تلك الليلة كنت أنا ويوسف ياسين وبمساعدة ميريت جرانت زميلي في المفوضية – كنا ننسخ مسودة مذكرة الحديث الذي أعرب كل من الملك والرئيس عن أمله في الموافقة عليها. وبعد أن أنجزت المذكرة باللغتين العربية والإنجليزية وقع الملك على النسخة العربية قبل أن يأوي إلى فراشه. وفي الوقت نفسه كان الطراد الذي يقل الرئيس قد اجتاز قناة السويس ماراً ببورسعيد ليلقي مرساته ليوم واحد في ميناء الإسكندرية. ثم أبحرت في صباح اليوم التالي إلى الإسكندرية لأقدم للرئيس المذكرة. فقرأها الرئيس وقال: لا بأس بها تماماً ووقعها دون أن يغير فيها مقطعاً أو فاصلة.

ولقد انضم إليه في الإسكندرية كل من وزير الخارجية إدوارد ستاتينس وسفيرنا في لندن جون ونانت. وفوراً أعرب رجال الدولة حول الرئيس عن الأهمية القصوى لمحو نسخ المذكرة. هاري هوبكنز حذر من إرسال المذكرة إلى الإدارة عبر المفوضية بل طلب إعطائه نسخة فوراً، وفي الوقت والمكان نفسه حيث إن نسخة واحدة تكفي وتحول دون قراءة أي فرد من الموظفين والكتبة لها وهم كثر، فاحتفظ الرئيس بنسخة وحملت نسخة موقعة بالإنجليزية وعدت بها للملك.

المؤتمر

لم ينشر شيء عن الحديث السياسي لأن أحداً ممن حضروه لم يخرج عن صمته......... وها أنا الآن أفعل.

فقد رفض الملك بشدة عرض نسخته من مذكرة الحديث ولم يستغل حقه في ذلك واعتبر أن تلك المناسبة لم تكن إلا شكلاً من أشكال الصداقة الشخصية قائمة بين زعيمين وبين رجلين. فمن وجهة النظر العربية البسيطة أن مثل هذه الصداقات تعتمد كلية على الإدارة الحسنة والإيمان الخالص.

وعندما ماتت تلك الإدارة الحسنة وذلك الإيمان الخالص بموت مستر روزفلت لم يستطيع من خلفه إحياءها ولم تستطيع ورقة تنشر أن تبعثها من جديد.

وكضيف عربي على اللقاء لم يبدأ ابن سعود مناقشة أي موضوع بل انتظر حتى يقترح مضيفة ما شاء من أمور تناقش. وكان ملاحظاً بالمناسبة أن ابن سعود لم يلمح في أي وقت إلى طلب مساعدات اقتصادية أو مالية للعربية السعودية. فقد سافر إلى اللقاء ناشداً صداقة لا اعتماداً مالياً، وفى ضوء هذه الحقيقة لم يكن في هذا الوقت سبب يجعله يتوقع تدفق البترول العربي ليضاعف دخله القومي، على العكس فقد كان يحكم في عام ١٩٤٥ الأراضي الريفية التي لا تنتج ما يكفي لإطعام سكانها والأراضي التي عزلتها الحرب عن الوفاء بضرورات الحياة.

الرئيس:

بعد مناقشة تطورات الحرب واستعراض ثقته بأن الألمان منــهزمون لا محالــة أعرب مستر روزفلت عن مشكلته الخطيرة التي يأمل أن يجد لها مساعدة ونــصيحة عند الملك وهى إنقاذ البقية الباقية من اليهود في وسط أوروبا الذين يذوقون رعباً لا يوصف على يد النازيين من طرد وتعذيب وهدم لمنازلهم وقتلهم عمداً، ومن ثم ورد اعتبارهم. فقد شعر مستر روزفلت بمسئوليته الشخصية وبالفعل حمل على عاتقه حل تلكم المشكلة فما كان اقتراح الملك؟

كان رد الملك عاجلاً ومقتضباً: أعطهم وأحفادهم أراضي الألمان ومنازلهم فهم الذين اضطهدوهم.

فأجابه الرئيس روزفلت بأن للناجين من اليهود رغبة عاطفية في سكنى فلسطين وأنهم في الحقيقة يخشون الإقامة في ألمانيا حيث قد ينالهم العذاب ثانية. فقال الملك: إنه لا يشك أن لدى اليهود أسباباً قوية تمنعهم من الثقة بالألمان إلا أنا لا يشك أيضاً في أن الحلفاء سيدمرون قوة النازيين للأبد وسيكون نصرهم عزيزاً بحيث يوفر الحمايــة لضحايا النازية. وإن لم يقدر الحلفاء على السيطرة على مستقبل ألمانيا السياسي فلماذا يخوضون هذه الحرب الفادحة الثمن؟ وقال الملك: إنني لا أستطيع أن أترك عدواً لي في وضع يسمح له برد الضربة بعد الهزيمة.

وعاد المستر روزفلت يقول إنه يعتمد على الكرم العربي وعلى مساعدة الملك في حل المشكلة الصهيونية فأجابه الملك قائلاً: دع العدو الظالم يدفع الثمن، فعلى هذا الأساس نخوض الحرب نحن العرب، فالمجرم هو الذي يجب أن يؤدى الغرامة ولــيس المتفرج البريء. وتساءل الملك قائلاً: أي شر ألحقه العرب بيهــود أوروبــا؟ إنهــم المسيحيون الألمان سرقوا أموالهم وأرواحهم، إذن فليدفع الألمان الثمن، وعاد مــستر روزفلت يطرق الموضوع شاكياً أن الملك لم يمد له يد العون لحل هذه المشكلة. ولكن

يبدو أن صبر الملك نفد فقال بشيء من الحدة إنه كبدوي غير متعلم لا يفهم مقصد الرئيس من عدم إلزام الألمان بالتعويض لليهود، وقال إن من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين من المعركة على العشائر المنتصرة وفقاً لعدد كل عشيرة ومقدار ما ساهمت به من ماء وطعام للمحاربين، وقال إن في معسكر الحلفاء خمسين (٥٠) بلداً فقرها وأصغرها فلسطين التي عُهِد إليها بأكثر مما تطيق من اللاجئين الأوربيين.

الملك :

وتحدث الملك بعد ذلك عن مشاعره فطلب صداقة مستر روزفلت ومعونته. ولم يكن يبدو عليه أنه يفرق بين روزفلت كشخص وروزفلت كرئيس للولايات المتحدة.

وصرح بأن أولى رغباته لوطنه وشعبه في الاستقلال الذي لا يعتمد على غير الله، وقال إن بلاده لم تخضع لاحتلال أجنبي أو حماية أجنبية كغيرها من الدول العربية. وأنه لولا هذا الاستقلال لما استطاع أن يسعى لصداقة شريفة ونزيهة. لأن الصداقة لا تقوم إلا بين ندين وعلى قدم المساواة.

وقال بعد ذلك إنه راغب في صداقة الرئيس روزفلت لاستشهاده بأنه صاحب الحريات الأربع، ولأنه تحقّق من أن الولايات المتحدة لم تستعمر أو تستعبد بلداً آخر. وفي لغة رقيقة بسيطة مثل تلك التي يستخدمها عادة مع رؤساء قبائله طلب من مستر روز فلت صداقته.

ورد عليه مستر روزفلت مؤكداً صداقته المزدوجة التي ردها في خطاب بعث به للملك في إبريل ١٩٤٥ أي قبل وفاته بأسبوع. فقد أكد له روزفلت أنه بوصفه رئيساً للولايات المتحدة لن يفعل شيئاً من شأنه أن يكون عدائياً للعرب وأن حكومته

لن تغير من سياستها تجاه فلسطين دون مشاورات مسبقة وكاملة مع كل من العرب واليهود. وقد اعتبر الملك هذه التأكيدات الشفوية بمنزلة حلف مكتوب بينه وبين روزفلت ولم يخطر بباله أن الموت سيخطفه قبل أن يبر بوعده.

والآن فقد أكمل مستر "دولز" مسيرة الإرادة الحسنة التي بدأها الوزير الأمريكي المفوض في الشرق الأوسط ونجل الملك بن سعود وخليفته وأقرب مستشاريه فهل لنا أن نأمل بعث هذا الوعد من جديد؟

مستر ترومان:[1]

حدث لهذا المؤتمر التاريخي سقطة مفاجئة في البيت الأبيض:

ففي الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٩٤٥ جدد وزير الخارجية الأمريكي النداء لأربعة من رؤساء البعثات الدبلوماسية الأمريكية ليثبتوا لمستر ترومان تدهور المصالح الأمريكية في الشرق الأدنى وهؤلاء الأربعة هم الوزراء المفوضون في: القاهرة ولبنان وسورية والسعودية، ثم القنصل العام المنتدب في فلسطين. وكانوا قد وصلوا جميعاً إلى البيت الأبيض منذ ١٠ أكتوبر بيد أنهم كانوا بواشنطن دون عمل يؤدونه أو مهام منوطة بهم وذلك لأن المراقبين في البيت الأبيض (وضمنهم دافيد. ك. نيلز) أقنعوا الرئيس بأنه من الحماقة مقابلة وزرائه في البلاد العربية قبل انتخابات الكونجرس في نوفمبر.

---

[1] هاري ترومان الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية ولد في ٨ مايو ١٨٨٤، تولى الرئاسة بعد وفاة الرئيس روزفلت وكان عليه إتمام الحرب وقد اتخذ قرار ضرب اليابان بالقنبلة الذرية. وقد انتخب رئيسا عام ١٩٤٥ وفي عهده تأسس حلف شمال الأطلسي (الناتو).

وبعد الانتخابات سمح لهم مدير مكتب الشرق الأدنى بوزارة الخارجية بالحضور لعقد مؤتمر خاص مع مستر ترومان. وقدم المتحدث باسم المجموعة جورج وادسورث شفاهة بياناً متفقاً عليه في حوالي ٢٠ دقيقة وكانت هناك مناقشات قصيرة، وسأل الرئيس بعض الأسئلة في اللقاء الذي أحيطت محاضره الرسمية بالسرية التامة في وزارة الخارجية، وأخيراً لخص مستر ترومان موقفه في صراحة تامة قائلاً: عذراً أيها السادة فإنني مضطر للرد على مئات الألوف من المتلهفين على نجاح الصهيونية في الوقت الذي لا يوجد فيه مئات الألوف من العرب في دائرتي الانتخابية.

العودة

عندما كنت أستأذن من الرئيس روزفلت في الانصراف إذا بابنته (مدام أنا بتجر) تطلب مني أن أصحبها لأشرح لها ما تحويه عدة طرود ضخمة كانت قد أرسلت إلى الطراد "كوينسي" معنونة باسم السيدتين (بيتجر وفرانكلين روزفلت) فهبطت معها إلى كبينتها لأجد الهدايا الملكية مرصوصة في استعراض جميل.

كان هناك عدد من الذي الرسمي – الكامل – للحريم مطرز بشكل رائع بخيوط الحرير الملونة؛ حيث تستعملها النساء العربيات في مناسبات خاصة عندما يكن فقط بمنازلهن فلا يراهن سوى أزواجهن أو آبائهن أو أبنائهن أو نساء أخريات. وبجانب ملابس الحريم كان هناك أيضاً أفضل العطور وأحبها تحويها قارورات ملونة بألوان خفيفة نادرة أو من المرمر.

وكان هناك قطع كبيرة من الكهرمان المستخرج من قاع البحر الأحمر لم أر مثيلاً لحجرا من قبل، ومن سواحل شرق إفريقيا كان هناك خواتم وأقراط وأساور وخلاخيل مرصعة باللؤلؤ وأحزمة منسوجة من خيوط الذهب مرسوم عليها صور رائعة...إنها المهارة التي وصلت إلى حد الكمال في السعودية توجتها أيدي النساء في الحسا.

وبينما كنت أتفحص الهدايا مع مدام "بتجر" كان مستر تشرشل قد وصل إلى ظهر السفينة وجالس الرئيس. وعندما وصلت إليهم قدمني مستر روزفلت لتشرشل قائلاً بظرف: "إنه وزيري المفوض في السعودية، وابن سعود الآن على إحدى

المدمرات الأمريكية ولم أقرر بعد إن كنت ستقابله أم لا"، فأدار مستر تشرشل سيجارة بين شفتيه وابتسم ابتسامة عريضة ملؤها الثقة العارمة.

وكانت الهيئة الرئيسة من الملك للرئيس عبارة عن سيف مكسو بقشرة من الألماس ولكنه لم يُرسل إليّ بالطائرة لأنقله إلى الإسكندرية، ومع ذلك فقد أمر الملك بان يُعهد به إليّ لعلمه بأنني سوف أتيقن من وصوله للرئيس. وفي ذلك اليوم نزل الملك وصحبه عصراً من المدمرة "ميرفي" حيث استعملوا سيارات زودهم بها الإنجليز ليصلوا إلى بحيرة الفيوم ليقابل الملك تشرشل.

وعلى أي حال فقد جاء الفرج وعلمت أن مسئوليتي قد انتهت دون أن يغتال حاكم أو يحدث إخفاق في أي ترتيب سري، ولكن بصراحة لم أكن بريئاً تماماً إذ أن السيف ما زال بحوزتي في صندوق بسيط جداً لا يلفت أنظار اللصوص. وفي اليوم التالي أرسل الكابتن جلز رسولاً بالسيف على متن طائرة إلى المغرب حيث سيلقي الطراد "كونيسي" بمرساته هناك.

وبهذا تكون قد انتهت قصتي مع هذا اللقاء التاريخي، فقد عاد الرئيس إلى واشنطن ليمهله القدر أياماً معدودات ليعد خطاباً واحداً يلقيه أمام الكونجرس جاء فيه: "لقد عرفت عن فلسطين والشرق الأوسط في خمس دقائق من ابن سعود ما لم أعرفه من خلال عشرين أو ثلاثين خطاباً".

وعاد الملك إلى جدة ليرحب به شعبه ترحيباً صاخباً ولأول مرة يسمح لهم بتجاوز التقاليد الوهابية ليرقصوا في الشوارع وليغني أطفال المدارس المدائح لقائدهم ومليكهم. فقد فجر ظهور الملك مرة ثانية بلحمه وشحمه فرحة صاخبة هائجة في الوقت الذي لم يقتنع فيه الكثيرون بأن الملك قد عاد حقاً.

تذييل

كان هذا اللقاء ذا شأن خطير بالنسبة لمن كانوا قريبين من دائرة الأحداث مثلنا ولهذا أسباب:

١ - كان لقاءً مفعماً بالحياة لزعيمين مختلفين، وإن كانا على نفس القدر من التأثير فأحدهما رجل دولة في الشرق والآخر في الغرب.

٢ - ترك الملك ابن سعود (ذلك الملك الانعزالي سابقاً) وطنه لأول مرة ومنذ ذلك اليوم ما زال الباب مفتوحاً لثقافة السعودية المغلقة - سابقاً -.

٣ - إن حارس الأماكن الإسلامية المقدسة وأقرب الملوك للخلفاء الراشدين والمدافع عن العقيدة الإسلامية والمدن المقدسة لـ ٣٠٠ مليون مسلم يوطد الصداقة مع زعيم أكبر الدول الغربية المسيحية، فقد حدد اللقاء النقاط التي عليها تحالف المسلمون مع الغرب، وهذا التحالف الأدبي والاستعداد من جانب القادة المسلمين للتفاعل مع الغرب، لقد ضاع من تحت أيدينا أوروبا بالشرقية وربما أقصى شرق آسيا ولم يبق إلى جانبنا سوى غرب أوروبا وأمريكا اللاتينية، ويبقى هناك الأرض الممتدة من الغرب إلى باكستان وأفغانستان بما فيها عدة مئات من الملايين من البشر، ووفرة هائلة في الأيدي العاملة والطعام والبترول والحاجات الاستراتيجية والموانئ التي نحن في أمس الحاجة إليها عندما تقع الحرب العالمية الثالثة التي لا مفر منها. ومنذ ١٩٤٥ لم تبذل أي مساعي رسمية لربط المسلمين بنا بل على العكس بُذل الكثير لتنفيرهم منا وإبعادهم عنا.

٤ – حتى الآن لم يزل التأثير ملحوظاً في الشرق الأوسط، ففي الحقيقة تأتي أهمية لقاء روزفلت بابن سعود من أن الولايات المتحدة تحدثت إلى ملك وشعب عربي بلهجته واسمه ولسانه. ولم يكن إصرار تشرشل على مقابلة ثلاثة من ملوك المنطقة سوى تعبير عن قلقة خشية الاتصال المباشر بين الولايات المتحدة وشعوب الشرق الأوسط، وهو نفس القلق الذي عانت منه فرنسا عندما أصر تشرشل على مقابلة ملك المغرب في مؤتمر "كازابلانكا" دون حضور الحكومة الفرنسية.

إن شعوب الشرق الأوسط تبغض القوى المستعمرة وتتوق لاتصال مباشر مع الولايات المتحدة دون تدخُّل من طرف ثالث، فقد حطم مستر روزفلت المبدأ القديم الذي يعتبر شمال إفريقيا والشرق الأوسط حكراً لأوروبا بمقابلته الملوك الثلاثة بقناة السويس عام ١٩٤٥. ولقد حاولت الخارجية الأمريكية ودبلوماسيوها لعدة أعوام هذا الاتصال المباشر الودود بملوك تلك المنطقة واحداً بعد آخر، حيث نجحوا في سوريا ولبنان ولم يوفقوا في العراق ومصر والسعودية وإن كان الأمر بالنسبة للأخيرتين غير واضح، فقد أخبر البيت الأبيض الملك ابن سعود عام ١٩٤١ بأن مساعدات الإعارة والتأجير والقروض للأعمال العامة وحتى المساعدات المالية التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية سوف ترسل من خلال بريطانيا...حيث كانت السعودية وقتها بعيدة عن الولايات المتحدة.

واليوم نحن في خطر من عودة السياسة القديمة بالاعتراف الضمني بسيادة أوروبا على الشرق الأوسط. ولا أنكر ارتباك العرب في فهم أسباب عملنا في غير اتجاه لا يتفق والمصلحة اليومية الأمريكية بل بشكل غير مباشر في اتجاه مصالح طرف ثالث، ليس بالطبع أمريكا ولا العرب بل لبعض القوى الأوروبية أو حتى إسرائيل، ولم يكن للصداقة الشخصية بين روزفلت وابن سعود أن تصمد على أي حال، ولا يملك الشرق الأوسط سوى الأسف على الموت المفاجئ للرئيس السابق روزفلت

الذي لم يتمكن من ترسيخ سياسة التعامل المباشر مع العناصر الأساسية لمصالحنا المشتركة.

وعلى أي حال فالنية الحسنة لهذه الملايين من المسلمين لم تكن لتستند على صداقة أو مصاهرة، وربما لم يجد دبلوماسيونا وبرامجنا ووزارة الدفاع الوقت الكافي لإقناع الشرق الأوسط بأننا نقدر الصداقة الفعلية حق قدرها، ولا ننكر عليهم اعتمادهم على روسيا في استقرارهم وازدهارهم وشئونهم العامة، ذلك أن الإسلام كالمسيحية يواجه تهديد الإمبريالية الروسية الملحدة.

ولم يمض وقت طويل عودة الأمريكيين من الشرق الأقصى بسخرية الصينيين وقواهم منهم، فقد عادوا فاترين، جبناء، رجال يحملون مظلات (شماسي) بدلاً من أن يحملوا السلاح ولا يقاتلون إلا إذا حركتهم التحديات، فلم نعد الآن نسخر من الجندي الصيني في كوريا لأن التجهيزات والنظام يخلقان المعجزات.

والعالم الإسلامي لا يملك دبابات أو قنابل ذرية ولم يشارك إلا هامشياً في الصراعات العالمية، فلربما يحدث له ما حدث للصين فيتوحد وينظم صفوفه ويتدرب فيصبح قوة ديمقراطية أو شمولية، وما زالت الولايات المتحدة تستطيع قلب الموازين بطريقة أو أخرى.

فإذا اعتبرنا أن شعوب العالم عبارة عن عقد به ستون جوهرة فيجب أن نسلم بأن هذا العقد قد انفرط وفقد كثير من حباته، ومن ضمن ما تبقى من نفائس هذا العقد الصداقة – وإن كانت لا تدخل في دائرة مصالحنا المشتركة ولكنها على الأقل ما زالت تحت أيدينا – والنوايا الحسنة وموارد ٣٠٠ مليون مسلم في العالم.

ولكن للأسف هناك من يصر على أخذ هذه الجوهرة الثمينة ليقذف بها في قاع البحر، وإذا نجحوا في تنفيذ هذا الفعل الوحشي الغاشم فدعهم يأملون بأن يسامحهم الشعب الأمريكي يوماً ما بسبب ما يعلمونه لا بسبب ما فعلوه.

ويليام . أ. إيدي

الوثيقة وكاتبها

العنوان الإنجليزي للوثيقة:

F.D.R. MEETS IBN SAUD

By

WILLIAM A. EDDY

Colonel, U.S. Marine Corps, Retired

First U.S. Minister Plenipotentiary to the

Kingdom of Saudi Arabia (1944-1946)

والأصل الإنجليزي مكون من ٤١ صفحة ونشر للمرة الأولى في طبعة محدودة عام ١٩٥٤ من خلال "جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكان"

America-Mideast Educational & Training Services, Inc.

والكاتب هو وليم أ. إيدي قائد بحري متقاعد كان وقت نشر الوثيقة للمرة الأولى الوحيد الباقي على قيد الحياة الذي يعرف بالضبط ما قيل في القمة الثنائية بين الرئيس والملك، لكونه الشخص الذي تولى منفردا الترجمة بينهما. وقد وُلد إيدي في لبنان عام ١٨٩٦ ابنا وحفيدا لمبشرين مشيخيين عاشا وماتا في سوريا. تخرج إيدي في جامعة برنستون الأمريكية عام ١٩١٧ ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٢٢. وعمل إيدي مدرسا للإنجليزية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٨ ثم انتقل ليعمل بكلية دارتموث بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٦، ثم عمل رئيسا لكلية هوبارت ووليام سميث بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤١. وبين عامي ١٩٤٤

و١٩٤٦ بدءا من العام كان أول وزير مفوض للولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية. وبين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٢ كان مستشار للشركة العربية الأمريكية للنفط، وهو يحمل عددا من الأوسمة العسكرية الأمريكية[١].

كان إيدي معارا من الجيش إلى وزارة الخارجية وخدم كمساعد للوزير الأمريكي في جدة منذ مارس ١٩٤٤ خلفا لجيمس موس وكان قد كتب تقريرا يصف الوضع في المملكة ذكر فيه أن السعوديين غير متأكدين من مستقبل المصادر الاقتصادية والأمن والاستقرار في بلادهم وأن البريطانيين يجب أن يكفوا عن معارضة المصالح الأمريكية، وأضاف أن الأمريكيين ليس لهم سياسة واضحة في المملكة مقارنة بالبريطانيين، وقد أوصى أيضا بأن تكون مساعدة أمريكا للمملكة مشروطة بعدم التفرقة بين الأمريكيين والبريطانيين في المجالات المختلفة[٢].

وقد لعب وليم إيدي من منصبه كوزير مفوض في المملكة أدوارا مهمة في تاريخ الخليج، ومنها أنه في إبريل ١٩٤٥ م وقعت الولايات المتحدة الأمريكية مع اليمن أول اتفاق للصداقة والتجارة والملاحة بين البلدين، وذلك عقب لقاءات وليم إيدي مع المسئولين اليمنيين في صنعاء، وشكلت الاتفاقية الخطوة الأولى نحو إقامة علاقات دبلوماسية بين واشنطن وصنعاء، وإعطاء الإمام يحيى حق امتياز للتنقيب عن النفط واستخراجه من منطقة تهامة لشركة أمريكية[٣].

والوثيقة رغم طبيعتها السياسية حافلة بالأفكار والملاحظات التي تتجاوز ما هو سياسي مباشر إلى قضايا ثقافية تتسم بدرجة أكبر من العمق، فمثلا، الملك عبد

---

[1] F.D.R. MEETS IBN SAUD - WILLIAM A. EDDY - Reprinted by Selwa Press - Californi – USA – p 47.

[٢] العلاقات الأمريكية السعودية – دكتور محمد النيرب – مكتبة مدبولي – مصر – الطبعة الأولى – ١٩٩٤ م – ١٤١٤ – ص ١٩٩ – ٢٠٠.

[٣] محطات بارزة في العلاقات الأمريكية اليمنية – جريدة ٢٦ سبتمبر اليمنية – عدد رقم ١٢٣٠ – ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥ – ص ٢١.

العزيز واكتسب قدرات قيادية ملحمية كتلك التي اكتشفها "صامويل" في "شاؤل" وهو تشبيه يعكس الخلفية التوراتية لثقافته، وهو ينظر للواقع السياسي في المملكة من خلف نظارة غربية متشبعة بالتاريخ الغربي، فهو يشبه كثرة زيجات الملك وكثرة ذريته بالانتشار الكبير لنسل الملكة فيكتوريا على عروش أوروبا.

ويمكن إجمال أهم الملاحظات في ما يلي:

أولا:

قوله كان الملك داهيةً...معلماً لنفسه وفي منتهى الذكاء. وكان يعتقد أن الله قد منح العرب حقيقة الإيمان بينما أعطى الغرب الحديد (قاصداً التكنولوجيا بكل ثمارها من راديو وتليفزيون وطائرة وسكك حديدية ومضخات مياه). وبخلاف كل ما يتفق مع القرآن – الدين والحياة الخاصة والزواج والتعليم والشريعة – كان الملك يقبل الحديد والمهارات التقنية الغربية.

وهي صياغة مبكرة لإجابة السؤال الذي اجتهد كثير من المفكرين للإجابة عنه بشأن الحدود الفاصلة بين الأصالة والمعاصرة، وهي إجابة نراها موقفة إلى حد كبير، وإن كانت التفرقة بين ما عند العرب وما عند الغربيين على قاعدة أنه "منحة إلهية" تستند إلى رؤية قدرية، وهي رؤية تبلغ في إسناد التقدم "هناك" والتخلف "هنا" إلى سبب إلهي.

ثالثا:

لا يمكن فصل القمة الأمريكية السعودية الأولى عن مجريات أحداث دولية ضخمة سبقتها وتزامنت معها وتلتها، فالرئيس الأمريكي قرر أن يلتقي الملك

السعودي في طريق عودته من مؤتمر يالتا الذي تم فيه تدشين النظام العالمي الذي تلا الحرب العالمية الثانية. وهو لم يكن بعيدا عن تطورات القضية اليهودية في الغرب والمساعي لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

رابعا:

شبَّه إيدي رحيل الملك عبد العزيز المفاجئ لكثيرين في المملكة برحيل الشريف حسين بن علي بلا عودة، وهو تشبيه يرتبط بخلفيات تاريخية مهمة، ويرتبط التاريخ الهاشمي الحديث بشخص الشريف حسين بن علي الذي يقول عنه المؤرخ العراقي علي الوردي إنه "أشهر من تولى شرافة مكة في جميع العصور، فهو قد وصل بالشرافة إلى القمة لكنها سرعان ما انهارت على يده. وهو فوق ذلك ذو أهمية كبرى في تاريخ العرب المعاصر وتاريخ القومية العربية".

وقد لد الحسين بن علي في اسطنبول عام ١٨٥٣، التي عاد إليها منفيا، بسبب خلافات على منصب شريف مكة، عام ١٨٩٣ مع أبنائه، وقد استقبله السلطان وعيّنه عضوا في مجلس شورى الدولة. وبقي مع أبنائه في اسطنبول حتى الانقلاب الدستوري عام، ١٩٠٨ إذ عُيّن شريفا على مكة فعاد إلى الحجاز مع أبنائه ليؤدي دورا غير متوقع في السنوات التالية، جعله محط أنظار العرب والعالم قبل أن تتهاوى سلطته ويعود لينهي حياته في المنفى.

ويعود منصب الشرافة في مكة إلى القرن العاشر الميلادي وقد اعترفت الدول الإسلامية المتعاقبة للهاشميين بالإمارة على مكة حتى بدايات القرن العشرين. وحين عُيّن الحسين بن علي في المنصب، كان من المتوقع خضوعه للوالي التركي المقيم في المدينة المنورة. لكن الحسين لم يقنع بدوره الشريفي المحدود، فأظهر القوة في الحملة على الإدريسي في عسير الذي أعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية فحاربه باسمها،

الأمر الذي أثار شكوك الأتراك من تنامي قوته، مما انعكس على اضطراب علاقته مع الوالي التركي. في الوقت نفسه الذي استطاع الحسين أن يعرقل وصول خط الحجاز الحديد إلى مكة، حرصاً على مصالح العشائر التي كان مورد رزقها يقوم على قوافل الحجيج إلى مكة، وخوفاً من الخط الحديد الذي ييسر وصول القوات التركية العسكرية إلى عقر داره.

لكن الأمر غير المتوقع، والذي أبقاه طي الكتمان، كان المراسلات الشهيرة التي تبادلها مع مكماهون، المعتمد البريطاني في القاهرة. هذه المراسلات التي بدأت باتصالات عام ١٩١٤ وتواصلات من خلال الرسائل، تعني عقد نوع من الاتفاق بين الإنجليز والشريف حسين، فإذ يعلن الشريف الثورة على الأتراك، فإن الإنجليز يعدون باستقلال العرب عند نهاية الحرب. وفي العاشر من حزيران ،١٩١٦ أعلن الحسين الثورة. بإطلاق الرصاص من شرفة دارته، وخلال أسابيع كانت له السيطرة على عدد من المواقع والمدن منها مكة والطائف وجدة.

وقد استغرق التمهيد والإعداد السرّيان لإعلان الثورة أشهراً طويلة، وذلك بمساعدة إنجليزية، يسّرت انضمام الجنود والضباط العرب الذين كانوا في عداد الجيش العثماني ممن سقطوا أسرى في أيدي الإنجليز، فخيّروهم بين الأسر أو الانضمام إلى الثورة. وكان العديد من الضباط العرب العراقيين والسوريين قد انشقوا عن الجيش العثماني بعدما دبّت فيهم الحمية العربية، بسبب نزعة التعصب التي اجتاحت الأتراك بعدما تسلمت "جمعية الاتحاد والترقي" السلطة في اسطنبول.

ولا شك في أن الشباب العربي من أعضاء الجمعيات العربية السرية مثل جمعية "العربية الفتاة" وجمعية "العهد"، قد وجدوا في قيادة الحسين بن علي للثورة ضالتهم، فكانوا يبحثون عن قائد وقد وجدوا في شريف مكة الشخصية المثالية لقيادة الثورة على الأتراك. وبصفته أمير مكة، تمكن الشريف حسين الذي يتمتع بنفوذ سياسي

ضئيل أن يكتسب النفوذ المعنوي الكبير، بأن جعل نفسه محط الاتصالات بين القوى المحلية ومراكز القرار الدولية، فكان رجال الدولة العثمانية يخطبون وده للوقوف إلى جانبهم بينما قرر هو أن يتخذ القرار بالانضمام إلى الحلفاء منقلباً على الدولة التي حضنته وعيّنته في منصبه.

ولم يكن القرار سهلاً لكن الظروف تضافرت فجعلته ممكناً. فمن جهة، كان الشباب العربي يضغط للإسراع في مثل هذا القرار، ومن جهة أخرى كان الإنجليز في حاجة ماسة إلى حليف من عيار شريف مكة لكسب الرأي العام المسلم والعربي ضد الدولة العثمانية. وأخيراً فإن إجراءات جمال باشا في سوريا قدمت الذريعة لإعلان الثورة.

وقد سلّم الشريف قيادة الجيوش لأبنائه: علي وعبد الله وفيصل، وبعد سلسلة من المناوشات والمعارك التي دوّت أخبارها في العالم، تقاطر إلى مكة الكثير من رجالات العرب المتطلعين إلى الاستقلال والذين بايعوا الحسين ملكاً على الحجاز في أكتوبر، ١٩١٦ أما الإنجليز فوجدوا في فيصل الشخصية المناسبة لقيادة الثورة العربية وخصوصاً أنه يقود جيش الشمال الذي يتطلع للوصول إلى سوريا. وكان فيصل يتمتع بخصال القيادة أكثر من شقيقيه الأكبر سناً، علي وعبد الله، وأكثر من شقيقه زيد الذي كان لا يزال يافعاً. واستطاع فيصل أن يبلغ العقبة، وقد حقق انتصاراً مباغتاً لفت القيادة الإنجليزية في القاهرة، وفتح احتمال الانتصار في المعارك المقبلة في فلسطين.

في نهاية الحرب، تشرين الأول ،١٩١٨ دخلت الجيوش العربية دمشق، ودخلها فيصل قائداً منتصراً ودخلها الجنرال اللنبي في لحظة اضطراب هائلة. وكان على فيصل، الكريم النفس والمتردد والقليل الخبرة، أن يواجه عواصف السياسات

الدولية حاملاً القضية العربية إلى مؤتمر فرساي في نهاية عام ١٩١٨، ليشرحها أمام قادة العالم.

اكتشف الأمير فيصل تعقيد السياسة الدولية ومصالحها، في وقت ساءت علاقته بوالده الذي كان يلاحقه مذكّراً إياه بوعود مكماهون بإقامة المملكة العربية. ولم يكن احد ليتذكر هذه الوعود، لا في مؤتمر الدول ولا في ردهات وزارتيّ الخارجية الإنجليزية أو الفرنسية. وكان فيصل يفاوض في أوروبا في الوقت الذي تزداد عليه ضغوط المتشددين في دمشق، وفي الوقت الذي كان مستعداً للقبول بالشروط الفرنسية، بعدما قررت انجلترا التنصل من كل وعودها وتسليم سوريا للفرنسيين، فقد أجبر على القبول بشروط المتشددين الذين أعلنوا استقلال سوريا واختاروه ملكاً عليها في ٨ مارس ١٩٢٠ في اليوم نفسه الذي اختار فيه العراقيون الأمير عبد الله ملكاً على العراق.

وقد جرّ عليه قبوله بملك سوريا توبيخ والده الذي كان فقد كل اتصال ومعرفة بالعالم الواقعي، وكان لا يزال يطالب الإنجليز بالوفاء بوعدهم! أما فيصل فكان عليه أن يواجه نتائج قبوله هذا بفقدانه الحماية الإنجليزية، فقد قرر الفرنسيون القضاء على المملكة الوليدة. وفي صباح ٢٤ تموز بدأت القوات الفرنسية هجوماً شاملاً في الموقعة الشهيرة بميسلون التي سقط فيها وزير الدفاع يوسف العظمة، وما هي إلا ساعات وسقطت المملكة. وخرج الملك فيصل من دمشق في اليوم نفسه مبتعداً ومترقباً، لكن الضغط الفرنسي أجبره على مغادرة سوريا، فلم يشأ العودة إلى الحجاز، بل توجه إلى أوروبا. وبعد رحلة استغرقت اشهراً وصل إلى لندن، حيث استقبل بعدما أُعدّ لدور جديد.

وفي الوقت الذي غادر فيصل إلى أوروبا، كان شقيقه عبد الله قد تقدم إلى جنوب سوريا (الأردن) حيث استقر مع جماعته ومقاتليه في عمان، وقد لجأ إليه بعض

المنفيين من سوريا فمكثوا معه مترقبين. وفي آذار ١٩٢١ حضر تشرشل إلى القاهرة، وكان لاجتماعاته في القاهرة في حضور مندوبين من العراق وفلسطين، أن تقرر مصير الشرق الأوسط بما في ذلك إقامة دولة مستقلة شرق الأردن. وهكذا تقرر أن يكون عبد الله أميراً على إمارة شرق الأردن وأن يُعلن فيصل ملكاً على العراق، أما الحسين فكان في الحجاز يخسر مواقعه أمام تقدُّم السعوديين.

إن عناد الحسين وجموده أفقداه في نهاية المطاف ملكه على الحجاز. لقد ملّ الإنجليز تعنته، ولم يكن يملك القدرة على مقاومة قوات عبد العزيز بن سعود. وفي وقت كانت مكة مشرفة على السقوط قبل الحسين التنازل لابنه علي الذي أعلن ملكاً بينما غادر الحسين إلى جدة ومنها إلى الأردن. واستغرق حكم الملك علي على الحجاز نحو خمسة عشر شهراً، انتهت بسيطرة عبد العزيز آل سعود على مدن الحجاز. أما الملك علي فغادر ليلتحق بشقيقه فيصل في بغداد. أما الحسين بن علي قائد الثورة العربية فمكث في العقبة ثمانية أشهر ثم أجبره الإنجليز عام ١٩٢٥ على مغادرتها إلى قبرص فبقي فيها حتى أصيب بشلل عام ١٩٣٠، ثم نقل إلى عمان التي توفي فيها عام ١٩٣١[١].

خامسا:

ملاحظات الكولونيل إيدي عن سلوك السعوديين في مرحلة الإعداد للرحلة الكثير غنية بالدلالات فيما يتصل باللقاء الكاشف بين رجال تربوا في دولة مؤسسات عريقة وآخرين يتفاعلون مع العالم الخارجي بعقلية بدوية لا تكاد تعرف إلا أعراف الصحراء وأخلاقياتها، فقبل ساعات من وصول اللنشات التي تقل الوفد العربي إلى

---

[١] الحكاية الناقصة للأسرة الهاشمية – خالد زيادة – ٢٨ يوليو ٢٠٠٢ – جريدة النهار اللبنانية.

المدمرة وصلت بعض المراكب الشراعية حملة بأطنان من الخضراوات وأكياس الذرة والأرز ومائة من أجود وأسمن الخراف الحية.. ..إلى آخر الوصف.

سادسا:

تكشف ملاحظات إيدي عن سمة من السمات شبه الثابتة للعربي المسلم في الذهنية الغربية وهي أنهم يقبلون الأحاديث العجيبة وغير المحتملة سواء الواردة في "ألف ليلة وليلة" أو في الحياة الواقعية، ورغم أن هذه في الحقيقة من سمات العقلية الخرافية فإن إيدي يصنفها ضمن معاني "القدرية"، يقول إيدي:

"فالعربي بطبيعته مؤمن بالقضاء والقدر ويقبل شتى الأمور سواء المتوقعة أو التي يعتبرها هبة من الله وكل هذه الهبات تثير العجب والدهشة فهي غير مستحقة وغير مفسرة. فالعربي يترل من على ظهر الجمل ليركب الطائرة دون أي نشاط خاص أو قدرات خاصة حتى لو كان قد تخطى جميع المراحل الطارئة ما بين الجمل والطائرة من حصان "وكرته" وسيارة. فكما منح الله الجمل المؤهلات المناسبة ليمشي على الرمال منح الطائرة جناحين لتطير مثل الطيور! ولهذا فلابد يُدهش العربي من الطائرة أكثر من دهشته للجمل الذي يمشي والطائر الذي يطير".

سابعا:

رغم الخلفية العائلية لإيدي الذي نشأ في عائلة ذات تاريخ عريق في العمل التبشيري نجده يتحدث بشفافية ملفتة عن عقائد المسلمين وعباداقم، يقول عن الصلاة:

"وفي الصلاة تجد ورع المسلمين فلا توجد درجات أو طبقات أو مقاعد أمامية فلله الأمر كله وما الإنسان إلا شيء تافه، وتلك الفوارق في الطبقات بين البشر لا تزن أمام

وجه الله جناح بعوضة. فلا فرق بين أمير وعبد ولا يُسمح للأمير أن ينحرف أو يتخلى عن واجبات دينه. وقد أعلنها الملك صريحة للجميع أن ابنه لا يتمتع بامتيازات أكثر مما أجاز الله. والإيمان بوحدانية الله وتفرده وقدرته على كل شيء واضحة في أقوال المسلم حيث يقول: مهما اعترتك الأفكار....صدقني الله ليس كذلك".

وفي الحديث عن الوحدانية يقول: "

"ومن الأمور المؤكدة مفهوم سيادة الله وتفريده بعيدا عن المفهوم المسيحي القائل بأن الله قد هبط في جسد إنسان. فلا يستطيع المسلم أن يدعو الله بـ "الأب" لأن "الأب" مجرد مفهوم بشري. ولا يؤذي شعور المسلم سوى استخدام المسيحي لبعض العبارات مثل "ابن الله" و"أم الله".

ما بعد القمة

بطبيعة الحال كان عقد القمة في البحيرات في مصر يعني أن الملك عبد العزيز بن سعود يزور مصر وقد كانت هذه المرة الثالثة التي يغادر فيها المملكة، وفيها التقى الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضًا التقى ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، كما التقى الملك عبد العزيز الملك فاروق والرئيس شكري القوتلي يوم ١٦ فبراير ١٩٤٥م. وقد جرى اللقاء بين الملك عبد العزيز والملك فاروق في الفيوم وفي فندقها الشهير "أوبرج دولاك" القائم على بحيرة قارون.. ومن المؤشرات على أهمية ذلك الاجتماع أن الفندق أحيط بقوة للحراسة ليل نهار، كما أبعد عنه العاملون فيه إلا المدير فقد أبقي للاستعانة به عند الضرورة، وفضلاً عن ذلك ذكرت الصحف أن الناس كانوا يروحون ويغدون من بعد دهشين لا يعلمون ما سيجرى على مقربة منهم في هذا المكان من مباحثات خطيرة في سبيل العروبة والإسلام. والتقى الملك عبد العزيز الملك فاروق والرئيس شكري القوتلي يوم ٣ ربيع الأول ١٣٦٤هـ /١٦ فبراير ١٩٤٥م حيث قضوا بضع ساعات تناولوا خلالها بالحديث والبحث في الشؤون العربية المهمة، وأدى طول الاجتماع وأهمية الحديث والموضوعات إلى التأخير عن موعد مأدبة العشاء التي كان قد أقامها الرئيس شكري القوتلي للملكين بدار المفوضية السورية. وفي اليوم التالي الموافق ١٧ فبراير ١٩٤٥م التقى الملك عبد العزيز رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل وفي صحبته أنتوني إيدن وزير الخارجية وبعض المستشارين، وقد رحب تشرشل بالملك عبد العزيز بصفته صديقاً لبريطانيا في وقت حاجتها، ودار بينهما حديث ودي ثم مكثا أكثر من ساعة يتباحثان في مسائل شتى أهمها ما يتعلق بالعرب ومستقبلهم. وقد عبر تشرشل

عن رغبة بريطانيا والولايات المتحدة أن ينضم الملك عبد العزيز إلى مشروع منظمة الأمم المتحدة لإقرار السلام الدائم، التي دعيت البلاد العربية المستقلة للاشتراك فيها. كما أكد عبد العزيز لتشرشل عروبة فلسطين، وأنه ليس لليهود الحق في تكوين دولة على جزء منها[1].

واليوم عندما تنشر الوثيقة كاملة للمرة الأولى في العربية فإنها تثير العديد من الأسئلة وبخاصة في أجواء ما بد الحادي عشر من سبتمبر، ومن الرؤى التي يجدر التوقف عندها في هذا السياق رؤية راشيل برونسون وهي مديرة قسم دراسات الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، وقد كتبت في جريدة الواشنطن بوست الأمريكية (٢١ مايو ٢٠٠٦م) تحت عنوان: "خمسة أساطير حول العلاقات الأمريكية السعودية" تقول:

"تشكل الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية إحدى أكثر الشراكات التي أسيء فهمها في العالم. فالسعوديون يمولون الاقتصاد الأمريكي بالنفط منذ مدة طويلة، ولكن في الحادي عشر من سبتمبر كانت مملكتهم مسؤولة عن خمسة عشر من الخاطفين التسعة عشر الذين قاموا بالهجمات. هنالك علاقات وثيقة تربط بين عائلتي بوش وآل سعود، غير أن وزيرة الخارجية كوندوليزا رايز تدعو إلى المزيد من الديمقراطية في المنطقة. ولفهم هذه العلاقة، لابد من تسليط الضوء على بعض الاعتقادات الخاطئة:

أولا: العلاقات الأمريكية السعودية تقوم على مقايضة النفط بالأمن.

الأمر أكثر من ذلك. غير أن النفط بطبيعة الحال له أهميته الخاصة بالنسبة للعلاقات الأمريكية السعودية ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك بالنسبة لبلدين أحدهما أكبر

---

[1] زيارة الملك عبد العزيز آل سعود لمصر (صفر ١٣٦٥ – يناير ١٩٤٦) وأثرها في دعم العلاقات المصرية السعودية – فاروق عثمان محمود أباظة – من أبحاث مؤتمر "المملكة العربية السعودية في مائة عام" – الموقع الإليكتروني لمجلة الدارة السعودية الفصلية المتخصصة .http://www.darah.org

مستهلك للنفط في العالم والآخر أكبر منتج له، ولكن علاقات واشنطن مع الرياض أكثر شبهاً بعلاقات الصداقة التي تربطها بالدول الفقيرة نفطياً في الشرق الأوسط كالأردن ومصر وإسرائيل، من التي تربطها ببعض الدول الغنية بالنفط مثل ليبيا وإيران. لأن الاحتياطيات النفطية الضخمة لم تترجم إلى علاقات مريحة مع الولايات المتحدة.

غير أن السبب الرئيس وراء العلاقات الوثيقة بين البلدين هي المعركة المشتركة التي خاضاها ضد الشيوعية إبان الحرب الباردة. حيث إن كلا البلدين كانا يشعران بالقلق من الاتحاد السوفيتي، وقد أدى ذلك إلى تقوية مصالحهما الدفاعية والنفطية، كما أدى إلى تلاشي الخلافات بينهما. وبسبب الإدراك المتأخر للبلدين لخطورة دعم المتطرفين الدينيين في المعركة ضد الشيوعية، أسهما في ظهور الحركات الإسلامية المتطرفة.

ثانيا: الخاطفون الذين شنوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر قاموا بتقويض العلاقات القوية بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

وبالفعل، لم تكن الأمور بتلك السهولة. حيث يشير المؤرخون إلى "العلاقات الخاصة" التي نشأت عندما التقى ملك السعودية، الملك عبد العزيز بالرئيس فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٥م. ولكن منذ ذلك الوقت تخللت هذه العلاقات مقاطعات نفطية من جانب السعودية وقيود أمريكية على مبيعات الأسلحة إلى السعودية، فضلاً عن التوترات حول النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. فقد كانت الخلافات تهيمن على تاريخ العلاقات الأمريكية السعودية.

ومنذ نهاية الحرب الباردة، أصبحت العلاقات أكثر احتقاناً، ثم تدهور الأمر أكثر مع حدوث الهجمات في الحادي عشر من سبتمبر. إلاّ أن النفط والدفاع وبعض المصالح الإقليمية الأخرى أبقت على العلاقة بين البلدين، مع أن كلا الطرفين عبّر بوضوح عن أن علاقاتهما اليوم لم تعد علاقات خاصة كسابق عهدها. فقد صرحت كونداليزا رايس عام ٢٠٠٥ بأن "الولايات المتحدة وعلى مدى الستين عاماً الماضية ظلت تسعى للحفاظ على

الاستقرار على حساب الديمقراطية في هذه المنطقة من الشرق الأوسط، غير أننا لم نحقق أياً منهما".

وفي ذات الوقت، يعكف بعض أعضاء العائلة المالكة السعودية على مناقشة جدوى العلاقات الوثيقة مع الأمريكيين.

ثالثا: عائلة بوش وآل سعود لديهما علاقات وثيقة.

عبارة مبالغٌ فيها. المخرج السينمائي مايكل مور وآخرون مغرمون بتسليط الضوء على العلاقات الشخصية وعلاقات العمل التي تربط بين عائلة بوش وآل سعود. ولا شك في أن العائلتين لديها علاقات وثيقة، لأن المملكة العربية السعودية ساهمت في عملية عاصفة الصحراء في عام ١٩٩١م، والتي كانت من أهم المعالم التي تميزت بها فترة حكم الرئيس بوش الأب. كما أن الملك الراحل، الملك فهد، قدم مساعدات مالية وسياسية كبيرة للعملية، وسمح للقوات الأمريكية بالتمركز على الأراضي السعودية.

ولكن ليس هنالك ما يؤيد القول بأن هذا الدعم دفع عائلة بوش إلى اتخاذ قرارات تخالف مصالح الولايات المتحدة. فضلاً عن أن جميع الرؤساء السابقين كانوا يسعون لعلاقات وثيقة مع المملكة، معترفين بقيمة هذا البلد بالنسبة للولايات المتحدة. وحتى الرؤساء الذين كانوا يشككون في السعودية من حيث المبدأ من أمثال داويت إيزنهاور وجون كيندي، وجدوا أنفسهم منجرفين تجاه هذه العلاقة لأسباب إستراتيجية.

رابعا: واشنطن باستطاعتها التعامل مع السعوديين لأنها مهمة جداً بالنسبة لهم.

الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. فالزيادة في الطلب على النفط من الصين والهند والعالم النامي يعني أن الآخرين يسعون لعلاقات وثيقة مع المملكة، حيث إن الرئيس الصيني هو جينتاو طار من واشنطن إلى الرياض في إبريل الماضي، وذلك رغم احتجاجات إدارة بوش بأن الصين "تطمح في صفقات نفطية طويلة الأمد" مع الدول الغنية بالنفط.

وكان وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل قد صرح العام الماضي بأن "المملكة العربية السعودية والصين لديهما الآن علاقات استراتيجية" لأن المملكة هي أكبر

مزود للصين بالنفط الخام. وبطبيعة الحال لن تحل بكين محل واشنطن بصفتها الشريك الأساسي على المستوى الدولي. ولكن تزايد الطلب على النفط في أماكن أخرى يغير بشكل جذري الخيارات المطروحة أمام المملكة العربية السعودية.

خامسا: آل سعود في طريقهم إلى الزوال.

هذا ليس محتملاً. فمنذ الأيام الأولى لقيام المملكة السعودية، توقع بعض المراقبين زوالها. ولكنها أظهرت قدرة رائعة في التغلب على بعض التحديات كالتراع الداخلي على السلطة والاغتيالات وعجز القادة. وهنالك الكثيرين من أبناء الملك المؤسس، الملك عبد العزيز ينتظرون دورهم في تولي الحكم.

ولا يعني هذا أن حكام السعودية يعيشون في وقت مريح. حيث إن أسامة بن لادن جعل إسقاط آل سعود أهم هدف له، فكانت هنالك سلسلة من هجمات تنظيم القاعدة في مايو ٢٠٠٣. بالإضافة إلى ذلك المملكة العربية السعودية تشهد تغيرات ديمغرافية (على الصعيد السكاني): حيث إن ٦٠% من السكان هم من الشباب دون سن الخامسة والعشرين، وهنالك ندرة في الوظائف بالنسبة لهؤلاء.

وفي نفس الوقت، المقاومون الذين ذهبوا إلى العراق سيعودون إلى ديارهم، مدربين ومصمِّمِين، ومن المحتمل أن تنتقل عدوى المناوشات السنية الشيعية الدائرة في العراق إلى المملكة العربية السعودية، حيث يشكل الشيعة نسبة تتراوح بين ١٠ و١٥% من إجمالي السكان.

لكن الانشقاقات التي تظهر عادة قبيل الثورة، لا تبدو ظاهرة في المملكة العربية السعودية. حيث إن المملكة الآن تعمل على ملاحقة الإرهابيين بشكل صارم في أراضيها، وينظر الإصلاحيون إلى الملك عبد الله على أنه حليف لهم في هذا الاتجاه.

ومن الأفضل بالنسبة لواشنطن أن تعمل على بقاء العائلة المالكة، كما أن ذلك يمثل أفضل فرصة لتحقيق أهدافها في مجال النفط ومكافحة الإرهاب والنأي بنفسها عن بدائل أخرى قد تكون أسوأ حالاً منها.

وفي كتابها "أقوى من النفط: الشراكة الصعبة للولايات المتحدة مع السعودية" (مطبعة جامعة أكسفورد) تتحدث راشيل برونسون عن القمة الأمريكية السعودية الأولى مشيرة إلى مشهد صعود الوفد السعودي على ظهر الطراد الأمريكي: "ثماني نعاج و٤٢ شخصاً من الحاشية الملكية اتبعوا الملك عبد العزيز بن سعود في الصعود إلى البارجة الأمريكية كوينسي، العائمة في البحر الأحمر في شباط من عام ١٩٤٥، لملاقاة الرئيس فرانكلين روزفلت. الحرب في أوروبا تقترب من نهايتها، وعصر النفط قد حان".

وترى راشيل أن روزفلت في طريق عودته من قمة مالطا مع ستالين وتشرشل، قابل الملك السعودي من أجل ضمان حقوق الرسو على أراضي الجزيرة العربية ليتمكن من نقل التجهيزات الحربية إلى الجبهة الآسيوية. وتضيف أنه ببعد نظر كبير، أراد أيضا بناء تحالف يعقب الحرب، يستند إلى إنتاج النفط ومشاطرة الكراهية تجاه الشيوعيين السوفيت. ما حدث على متن كوينسي في تلك الأيام الشتوية سوف يحدد شروط – وسوء التفاهمات أيضا – الشراكة الأمريكية مع العربية السعودية طوال العقود الخمسة الماضية وحتى أحداث الحادي عشر من أيلول. كان روزفلت ساحراً.. وعاطفياً، هو وهذا الملك البدوي المحارب الذي كان يعرج من المرض ومن جروح معارك سابقة، انخرطا على الفور في حديث حول أعاجيب الكرسي المتحرك. أما في المسائل الرئيسة: "النفط، الله، والعقارات" كما تقول راشيل برونسون في كتابها، فقد اتفق الجانبان أيضا على اتفاقية سهلة ومريحة!.

النمط ذاته في العلاقة احتذاه، وان بدرجات متفاوتة، أبناؤه وخلفاؤه. المصالح الذاتية البراغماتية ومعاداة الشيوعية هي التي ربطت بين الولايات المتحدة والعربية السعودية خلال فترة الحرب الباردة، لكن الخلافات المتواصلة المثيرة للعاطفة

– خاصة فيما يتعلق بإسرائيل، والتي عادة ما تم التنفيس عنها سراً – غلفت التحالف بالضغينة والريبة.

وترى برونسون أنه مع أن المملكة العربية السعودية تختلف عن الدول السابقة في رغبتها واستعدادها الدائمين لمضاعفة إنتاج النفط حينما تريد الولايات المتحدة، فإن ذلك وحده لا يُفسِّر، على سبيل المثال، رغبة الولايات المتحدة خلال خمسينيات القرن الماضي في أن تجعل من ملك السعودية قائداً إسلامياً عالمياً، اعتماداً على المكانة الروحية للمملكة لدى المسلمين في كل أنحاء العالم، وقداسة الحرمين الشريفين الواقعين على أرضها.

النفط وحده ليس صالحاً لتفسير تلك العلاقة، فهي لم تتأثر سلبياً خلال ثمانينيات القرن الماضي، التي تراجعت فيها أسعار النفط بصورة ملحوظة. لذا فإن الهدف المشترك في تطويق المد الشيوعي واحتوائه يمكن اعتباره سبباً أكثر أهمية يفسر متانة العلاقة. لقد أنفقت المملكة العربية السعودية مليارات الدولارات في مكافحة الانتشار الشيوعي في العالم. ومن ثم فإن هذا الجهد، القائم على الهوية الدينية للمملكة، يتعين أن يضاف إلى النفط، باعتباره الضلع الثاني من مثلث العلاقة الوثيقة، والذي يكتمل بضلع ثالث لا يقل أهمية وفاعلية، هو الموقع الاستراتيجي.

كان العسكريون الأمريكيون منذ عام ١٩٤٤، وفي خضم اشتعال الحرب العالمية الثانية، يطالبون بإنشاء قاعدة جوية في الظهران. وكان مستشارو الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت يسعون إلى إقناعه بأن الدفاع عن المملكة بموقعها الاستراتيجي واحتياطياتها من النفط، يمثل دفاعاً عن الولايات المتحدة ذاتها. وبنجاح هذه المساعي، وبإنشاء قاعدة الظهران الجوية، أصبحت المملكة العربية السعودية واحدة من ثلاث دول توجد للولايات المتحدة آنذاك قواعد عسكرية على أراضيها. وقد تضاعفت أهمية القاعدة خلال الحرب الباردة، لقربها من الاتحاد السوفييتي،

واكتسبت أهمية أكبر بعد سقوط نظام الشاه، حليف الولايات المتحدة الأهم في المنطقة، وشرطي الخليج.

وتهتم راشيل برونسون، مثل كل من أرّخوا للعلاقة الأمريكية – السعودية، بلقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت على متن الطراد كوينسي أوائل عام ١٩٤٥. فقد أسس اللقاء للعلاقات المتميزة بين الدولتين، ورسخ فكرة قيامها على التفاهم الشخصي بين القادة قدر قيامها على المصالح المشتركة. وقد نوقشت في اللقاء قضايا الطاقة والاحتياطات النفطية السعودية وحقوق الحفر والتنقيب عن النفط الخام. واهتم الملك عبد العزيز اهتماماً بالغاً بالقضية الفلسطينية التي كانت تشهد منعطفاً مهماً آنذاك، وحصل الملك على وعود إيجابية من الرئيس الأمريكي بشأنها. وأكد روزفلت أنه لن يتبنى أي سياسة تضر بالعرب، قائلاً إنّه عرف عن القضية الفلسطينية في لقاء واحد مع الملك أكثر مما عرف من التقارير التي وردته على مدى سنوات من مختلف أجهزة الإدارة الأمريكية[1].

وفي كتابه "السعودية والمصلحة القومية الأمريكية" يعيد البروفيسور جون حبيب الأستاذ بجامعة ميريلاند الأمريكية الاعتبار لما يصفه بـ "العلاقة الخاصة" بين الولايات المتحدة والسعودية، حيث إن ما يجمع بين البلدين أكثر كثيرا مما يفرقهما، وإن المصالح المتبادلة والقيم المشتركة سوف تتغلب على المصاعب الحالية التي باعدت بينهما بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ تلك العلاقة، وشأن الكثير من المؤلفات التي تتناول العلاقات الأمريكية السعودية يشير البروفيسور جون حبيب إلى اللقاء الشهير بين الملك عبد العزيز بن سعود والرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت في ١٤ فبراير ١٩٤٥ على ظهر الباخرة كوينسي، وهو يرى أن هذه العلاقة الدافئة توفر للمملكة

[1] عرض ستيف كول: مدير التحرير السابق في الواشنطن بوست، ومؤلف كتاب "حروب شبحية" الحائز على جائزة بولتزر – الموقع الإليكتروني لمركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية.

خط الدفاع الأهم، ما حدا بالملك فيصل للقول سنة ١٩٦٣، نقلا على لسان السفير الأميركي هارت، إنه "منذ سنة ١٩٤٣ أعتبر أن مصالح بلدي وشعبي هي نفس مصالح الولايات المتحدة ونحن لا نختلف على أي شيء جوهري، وبعد الله نحن نثق بأميركا".

وعين فرانكلين روزفلت الإستراتيجية في المقابل لم تكن لتخطئ أهمية وجود حليف يسيطر على الجزيرة العربية ويساعد في حدوث الإحلال التدريجي للقوة الأميركية الصاعدة بديلا عن الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية اللتين دخلتا مرحلة الهزيع الأخير من توسعهما الإمبريالي الطويل. كما لم تكن عين روزفلت الجيواقتصادية لتخطئ رصد بدايات اكتشاف الذهب الأسود، ومستقبل تلك البقعة من الشرق الأوسط الذي سيرهن به. جون حبيب يرصد تلك اللحظة التاريخية ويعبؤها بإصرار من قبل الزعيمين على توثيق علاقة خاصة ستعبر إلى عقود ستة قادمة بصمود مدهش رغم الحروب والاضطرابات والثورات وكل التقلبات. أيامها وقبيل اللقاء بين الاثنين كانت "بريطانيا العظمى" لا تزال فيها بقايا "عظمة" وتشعر بأن الشرق يقع في منطقة مجالها الحيوي. لهذا فلم ترتح تماما للقاء، وطلبت أن يكون واحد من دبلوماسييها في المنطقة حاضرا، لكن روزفلت رفض، فطلب تشرتشل مقابلة بن سعود، فكان أن أجابه الأخير بأن هذه المقابلة ستكون بعد الاجتماع مع روزفلت، وتقريبا مشروطة بموافقته. بعد لقائه بروزفلت بأسبوعين أو أقل التقى بن سعود بتشرتشل في مصر، ولم يخرج مرتاحا من اللقاء، إذ لم تعجبه عجرفة تشرتشل وتكبره، فتكرست البوصلة السعودية باتجاه الولايات المتحدة.

ويضع جون حبيب يده على عنصر من أهم عناصر قوة العلاقات الأمريكية السعودية وهو "القيم المشتركة" باعتبارها أساسا مركزيا آخر من أسس العلاقة الخاصة، ويرى أن هذه القيم هي السند الأخلاقي للعلاقة الخاصة التي قامت على مصالح قومية متبادلة، ومن تلك القيم الإيمان بالله (مقارنة بغياب هذه القيمة في

حلف الكتلة الشرقية خلال الحرب الباردة)، والإيمان بالعائلة أساسا للمجتمع والحياة، والإيمان بحرية الفرد، والإيمان بحق التملك الفردي[1]، وهي قيم يزداد دورها في السياسة الدولية بوتيرة متسارعة مؤخرا.

والطريف أن موضوع القيم المشتركة في القمة الأمريكية السعودية الأولى كان موضوعا لسجال لا يخلو من طرافة، فعلى صفحات الشرق الأوسط اللندنية كتب الأمير طلال بن عبد العزيز تحت عنوان "إلى توماس فريدمان: هات مصادرك في رواية الملك عبد العزيز وروزفلت" يقول:

"كان للكاتب السيد توماس فريدمان في الصفحة رقم ٢٢ بصحيفة "الشرق الأوسط" في العدد رقم ٨٨٦٨ بتاريخ ١٠ مارس (آذار) ٢٠٠٣ مقال تحت عنوان (كيف يتصرف الأمريكيون بقوتهم الهائلة؟) وقد استوقفنا ما ذكره الكاتب في الفقرة التي نصها: "تحضرني الحكاية التالية: في عام ١٩٤٥م التقى الملك عبد العزيز بن سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، بالرئيس فرانكلين روزفلت بقناة السويس، ولكن الملك عبد العزيز، البدوي الروح، وجه لمستشاريه سؤالين عن الرئيس الأمريكي قبل أن يلتقي به: قل لي هل هو يؤمن بالله؟ وهل لديهم (أي الأمريكيين) مستعمرات؟"

ويضيف الأمير طلال: "ومن جهتنا فإننا لا نصدق ما كتبه السيد فريدمان في الفقرة المشار إليها"، وهو يستند في رفضه إلى أن تلك المعلومة لا تتوفر في المصادر التاريخية العربية والأجنبية، وتساءل كيف يمكن معرفة ماذا دار بين الملك عبد العزيز ومستشاريه في حين أن المعروف أنه لا يمكن لأحد من مستشاريه أن يفضي بمعلومات لأحد من دون الرجوع للملك[2].

---

[1] كامبردج بوك ريفيوز – الموقع الإليكتروني لقناة الجزيرة على الانترنت نقلا عن: IslamDaily.net

[2] إلى توماس فريدمان: هات مصادرك في رواية الملك عبد العزيز وروزفلت – طلال بن عبد العزيز – جريدة الشرق الأوسط اللندنية ١٠ إبريل ٢٠٠٣.

ملاحق

الرسائل المتبادلة بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت حول فلسطين

في الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٨م نشرت وزارة الخارجية الأميركية بيانا أوضحت فيه موقف حكومة الولايات المتحدة من الأحداث الجارية في فلسطين حينذاك. وقد عبّرت في بيانها عن تأييد أميركا لقيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين مشيرة إلى الدور القيادي الذي لعبه الأميركيون تفكيرا وتمويلا من أجل إنشاء ذلك الوطن وتقدمه، وحين علم الملك عبد العزيز بذلك البيان بعث رسالة إلى الرئيس روزفلت عن طريق القائم بأعمال المفوضية الأميركية في القاهرة هذا نصها:

"فخامة الرئيس. لقد اطلعنا على ما نشر عن موقف حكومة الولايات المتحدة الأميركية الخاص بمناصرة اليهود في فلسطين. ونظرا لثقتنا في محبتكم للحق والعدل، وفي تمسك الشعب الأميركي بالتقاليد الديمقراطية الأساسية المبنية على تأييد الحق والعدل ونصرة الشعوب المغلوبة، ونظرا للصلات الودية القائمة بين مملكتنا وحكومة الولايات المتحدة نود أن نلفت نظركم، يا فخامة الرئيس، إلى قضية العرب في فلسطين وحقوقهم المشروعة فيها. ولدينا ثقة تامة في أن بياننا سيوضح لكم وللشعب الأميركي قضية العرب العادلة في تلك البلاد المقدسة.

لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن الموقف الأميركي أن قضية فلسطين قد نُظر إليها من وجهة نظر واحدة، هي وجهة نظر اليهود الصهاينة، وأهملت وجهات نظر العرب، وقد لاحظنا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة الانتشار أن الشعب

الأميركي الديمقراطي قد ضلل تضليلا كبيرا أدى إلى اعتبار تأييد اليهود في سحق العرب في فلسطين عملا إنسانيا. ومع أن هذا ظلم موجه ضد شعب مسالم يعيش في بلاده فإن الفلسطينيين لم يفقدوا الثقة في عدالة الرأي العام الديمقراطي في العالم كافة وفي أميركا خاصة. وإني لواثق من أن حقوق العرب في فلسطين إذا اتضحت لفخامتكم وللشعب الأميركي فإنكم ستؤيدونها حق التأييد.

إن الحجة التي اعتمد عليها اليهود في ادعاءاتهم بشأن فلسطين هي أنهم استوطنوها فترة من الزمن القديم وأنهم تشتتوا في بلاد العالم المختلفة، وأنهم يودون أن يوجدوا لهم مكان تجمّع في فلسطين يمكنهم أن يعيشوا فيه بحرية. ويستندون في عملهم إلى وعد تلقّوه من الحكومة البريطانية يسمى "وعد بلفور".

أما دعوى اليهود التاريخية فإنه لا يوجد ما يبررها لأن فلسطين كانت وما زالت مسكونة بالعرب خلال كل الفترات التاريخية المتعاقبة، وكان الحكم فيها لهم. وإذا استثنينا الفترة التي أقامها اليهود فيها، والمدة التي سيطرت فيها الإمبراطورية الرومانية عليها، فإن سلطان العرب على فلسطين كان منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر. وكان العرب في كل فترات وجودهم محافظين على الأماكن المقدسة، معظّمين لوضعها، محترمين لقدسيتها، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص. ولما امتد الحكم العثماني على فلسطين كان النفوذ العربي مسيطرا، ولم يشعر العرب أبدا أن الأتراك كانوا قوة مستعمرة في بلادهم، وذلك لما يلي:

١- وحدة الرابطة الدينية.

٢- شعور العرب بأنهم شركاء للأتراك في الحكم.

٣- كون الإدارة المحلية للحكم في أيدي أبناء البلاد أنفسهم.

فمما ذكر يتبين أن دعوى اليهود بحقهم في فلسطين، استنادا إلى التاريخ، لا حقيقة لها؛ لأن اليهود إذا كانوا قد استوطنوا فلسطين مدة معينة بصفتهم مستولين عليها فإن العرب قد استوطنوها مدة أطول بكثير من تلك، ولا يمكن أن يعتبر استيلاء شعب على بلد من البلدان حقا طبيعيا يبرر مطالبته به. ولو أخذ بهذا المبدأ في الوقت الحاضر لحق لكل شعب أن يطالب بالبلدان التي سبق له أن استولى عليها بالقوة في فترة معينة. وذلك سيؤدي إلى تغييرات مذهلة في خريطة العالم مما لا يتلاءم مع الحق ولا مع العدل أو الإنصاف.

أما بالنسبة إلى دعوى اليهود الأخرى التي يستدرون بها عطف العالم فهي أنهم مشتتون ومضطهدون في بلدان مختلفة، وأنهم يودون أن يجدوا مكانا يأوون إليه ليأمنوا من الظلم الذي يواجهونه في كثير من البلدان. والمهم في هذا الأمر أن يفرّق بين قضية اليهود أو اللاسامية في العالم وبين مسألة الصهيونية السياسية. وإذا كان المقصود العطف على اليهود المشتتين فإن فلسطين بلاد صغيرة، وقد استوعبت عددا كبيرا منهم يفوق ما استوعبه أي بلد من بلدان العالم إذا قورنت مساحتها بمساحات الدول الأخرى التي يقيم اليهود فيها. وليس من الممكن أن تتسع مساحة ضيقة كفلسطين لجميع يهود العالم حتى لو فُرض أنها خالية من سكانها العرب (كما قال السيد مالكولم ماكدونالد في الخطاب الذي ألقاه مؤخرا في مجلس العموم البريطاني). فإذا قُبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين الآن في فلسطين فإن هذه البلاد الصغيرة قد قامت فعلا بعمل إنساني لم يقم بمثله غيرها. وترون، يا فخامة الرئيس أنه ليس من العدل أن تسدّ حكومات العالم – ومن بينها الولايات المتحدة – أبوابها أمام هجرة اليهود وتفرض على فلسطين، البلد العربي الصغير، مهمة استيعابهم.

وأما إذا نظرنا إلى القضية من وجهة نظر الصهيونية السياسية فإن وجهة النظر هذه تمثل ناحية ظالمة غاشمة هدفها القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل، وإشباع النهم السياسي والطمع الشخصي لقليل من الصهاينة.

وأما استناد اليهود إلى وعد بلفور فإن ذلك الوعد كان جورا وظلما لبلاد مسالمة مطمئنة. وقد أعطي من قِبَل حكومة لم تكن تملك حين إعطائه حق فرضه على فلسطين، كما أن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ولا في إجراءات الانتداب الذي فرض عليهم، كما وضّحه مالكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية. وكان ذلك رغم الوعود التي بذلها الحلفاء، وبينهم أميركا، لهم بحق تقرير المصير. ومن المهم أن نُذكِّر بأن وعد بلفور كان مسبوقا بوعد آخر من الحكومة البريطانية، بمعرفة الحلفاء، بحق العرب في فلسطين وفي غيرها من البلدان العربية الأخرى.

ومن هذا يتبين لكم، يا فخامة الرئيس، أن حجة اليهود التاريخية باطلة، ولا يمكن اعتبارها. أما دعواهم من الوجهة الإنسانية فقد قامت بها فلسطين أكثر من أي بلد آخر. ووعد بلفور الذي يستندون إليه مخالف للحق والعدل ومناقض لمبدأ تقرير المصير. وإن أطماع الصهاينة تجعل العرب في جميع الأقطار يخشون منها وتدعوهم إلى مقاومتها.

أما حقوق العرب في فلسطين فلا تقبل المجادلة؛ لأن فلسطين بلادهم منذ أقدم العصور، ولم يغادروها أو يطردوا منها. وكانت من الأماكن التي ازدهرت فيها الحضارة العربية ازدهارا يدعو إلى الإعجاب. ولذلك فهي عربية أصلا لغة وموقعا وحضارة، وليس في ذلك أي شبهة أو غموض. وتاريخ العرب مليء بالأحكام العادلة والأعمال النافعة.

وحينما قامت الحرب العالمية الكبرى انضم العرب إلى الحلفاء أملا في الحصول على استقلالهم، وكانوا على ثقة تامة من أنهم سينالونه بعد الحرب للأسباب الآتية:

١- لأنهم اشتركوا بالحرب فعلا، وضحّوا بأنفسهم وأموالهم.

٢- لأنهم وُعدوا بذلك من قِبل الحكومة البريطانية في المراسلات التي دارت بين ممثلها ميذاك، السير هنري مكماهون، والشريف حسين.

٣- لأن سلفكم العظيم، الرئيس ولسون، قرر دخول الولايات المتحدة الأميركية الحرب إلى جانب الحلفاء نصرة للمبادئ الإنسانية الرفيعة التي كانت من أهمها حق تقرير المصير.

٤- لأن الحلفاء صرّحوا في (نوفمبر) سنة ١٩١٨ م عقب احتلالهم البلدان، أنهم دخلوها لتحريرها وإعطاء شعوبها حريتهم واستقلالهم.

وإذا رجعتم، يا فخامة الرئيس، إلى التقرير الذي قدمته لجنة التحقيق التي أرسلها سلفكم الرئيس ولسون إلى الشرق الأدنى عام ١٩١٩م ستجدون المطالب التي طلبها العرب في فلسطين وسورية بينما سئلوا عن المصير الذي يطلبونه لأنفسهم.

لكن العرب، لسوء الحظ، وجدوا بعد الحرب أنهم قد خُدعوا، وأن الأماني التي وعدوا بها لم تحقق. فقد قُسّمت بلادهم تقسيما جائرا، ووضعت لهذه الأقسام حدود مصطنعة لا تبررها الحقائق الجغرافية أو القومية أو الدينية. وبالإضافة إلى ذلك وجدوا أنفسهم أمام خطر عظيم جدا، وهو خطر غزو الصهاينة لهم واستملاكهم لأغلى أراضيهم.

ولقد احتج العرب بشدة حينما علموا بوعد بلفور، كما احتجوا بشدة على نظام الانتداب، وأعلنوا رفضهم له وعدم قبولهم به منذ اليوم الأول. وكان تدفق الهجرة اليهودية من أقطار مختلفة إلى فلسطين مدعاة لتخوّف العرب على حياتهم

ومصيرهم فقامت ثورات واضطرابات عديدة في فلسطين سنة ١٩٢٠م، ١٩٢١م ١٩٢٩م، وكان أهم تلك الثورات ثورة عام ١٩٣٦م التي لا تزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة.

يا فخامة الرئيس، إن عرب فلسطين ومن ورائهم سائر العرب، بل سائر العالم الإسلامي يطالبون بحقوقهم ويدافعون عن بلادهم من الدخلاء عليها وعليهم. ومن المستحيل إقرار السلام في فلسطين ما لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا من أن بلادهم لن تُعطى إلى شعب غريب تختلف مبادؤه وأهدافه وعاداته عن مبادئهم وأهدافهم وعاداهم في كل شيء. ولذا فإننا نهيب بكم ونناشدكم، يا فخامة الرئيس، باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهر بها الشعب الأميركي النبيل أن تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين، وأن تساعدوا أولئك الذين يعيشون في سلام وهدوء رغم الهجمات الواقعة عليهم من قِبَل تلك الجماعات المشرّدة من كل أجزاء العالم. إذ ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أقطار العالم المختلفة وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته. ولا نشك في أن المبادئ السامية التي يعتنقها الشعب الأميركي ستجعله يذعن للحق ويناصر العدل والإنصاف.

حرر في قصرنا في الرياض

في اليوم السابع من شهر شوال سنة سبع وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرية الموافق تسعا وعشرين من نوفمبر سنة ثماني وثلاثين بعد التسعمائة والألف ميلادية.

عبد العزيز آل سعود

وقد رد الرئيس الأميركي روزفلت على هذه الرسالة برسالة هذا نصها:

"البيت الأبيض. واشنطن ٩ من كانون الثاني (يناير (عام ١٩٣٩م

الموافق ١٦ ذو القعدة ١٣٥٧هـ.

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية

صاحب الجلالة:

لقد سرّني كثيرا أن استلمت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٢٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٨م التي سلّمها القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية في القاهرة في ٦ من كانون الأول (ديسمبر) إلى القائم بأعمال المفوضية الأميركية هناك بشأن قضية العرب في فلسطين.

ولا يخفى على جلالتكم أن الحالة الفلسطينية قد استرعت اهتمام الشعب الأميركي طويلا. ولذلك فإني قد قرأت رسالة جلالتكم التي كرستموها لهذا الموضوع باهتمام خاص.

إن اهتمام الشعب الأميركي بفلسطين يرتكز على عدة اعتبارات؛ منها ما هو ذو صبغة روحية، ومنها ما هو ناشئ عن الحقوق التي نالتها الولايات المتحدة في فلسطين من الاتفاقية الأميركية البريطانية الخاصة بالانتداب في فلسطين المؤرخة في ٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤م.

وقد تبين موقف الولايات المتحدة بشأن فلسطين في بيان عام أصـــدرته وزارة الخارجية في ١٤ من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٣٨م والذي يسرّني أن أبعـــث لجلالتكم بصورة منه.

ويمكنني أن أضيف إلى ذلك أن هذه الحكومة لم تتخذ أبدا أي موقف مخالف لما تمسكت به منذ البداية تجاه هذا الموضوع.

صديقكم الحميم فرانكلين روزفلت

رسالة من الملك عبد العزيز بن سعود للرئيس روزفلت

"من عبد العزيز بن الرحمن الفيصل – ملك المملكة العربية السعودية – إلى فخامة الرئيس روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية.

صاحب الفخامة

في هذه الحرب العالمية العظيمة التي تبذل فيها الأمم دماءها وتنفق ثرواتها دفاعا عن الحرية والاستقلال، وفي هذه الحرب التي أعلنت فيها المبادئ السامية، التي يحارب من أجلها الحلفاء في ميثاق الأطلنطي، وفي هذا الصراع الذي أهاب فيه زعماء كل بلد بشعوبهم وبحلفائهم وأصدقائهم أن يقفوا معهم في صراعهم من أجل الحياة، راعني، كما راع المسلمين والعرب، أن تنتهز مجموعة من الصهاينة فرصة هذه الأزمة الصعبة فتقوم بدعاية واسعة النطاق تهدف بها إلى تضليل الرأي العام الأميركي من جهة والضغط على دول الحلفاء في هذا الوقت الحرج من جهة ثانية لحملها على الخروج على مبادئ الحق والعدل والمساواة التي أعلنتها والتي تقاتل من أجلها، وهي حرية الشعوب واستقلالها. وقد أراد اليهود بعملهم هذا أن يحملوا الحلفاء على مساعدتهم في القضاء على العرب المسالمين الذين يعيشون في فلسطين منذ آلاف السنين. إنهم يريدون أن يخرجوا هذا الشعب النبيل من موطنه وأن يحلّوا اليهود من جميع الآفاق في هذا الوطن العربي الإسلامي المقدّس. وأي ظلم فادح فاضح سوف ينتج– لا قدّر الله– عن هذا الصراع العالمي إذا أتى الحلفاء في آخره ليكللوا ظفرهم المقبل بإخراج العرب من ديارهم في فلسطين ويحلوا محلهم شراذم اليهود الذين لا

تربطهم بهذا الوطن أي رابطة غير دعوى خيالية لا أصل لها في نظر الحق والعدل إلا ما يحيكونه بالخداع والغش، منتهزين بذلك فرصة وضع الحلفاء الحرج ومنتهزين فرصة جهل الشعب الأميركي بحقيقة قضية العرب عامة وقضية فلسطين خاصة.

لقد كتبت لفخامتكم بتاريخ ٧ من شوال ١٣٥٧هـ الموافق ١٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨م رسالة أوضحت فيها حقيقة الأمر بين العرب واليهود في فلسطين. وإذا رجع فخامتكم إلى تلك الرسالة ستجدون فيها أنه لا يوجد أي حق لليهود في فلسطين، وأن دعواهم أمر باطل لم يسجل تاريخ البشرية له مثيلا.

ففلسطين تخص العرب منذ فجر التاريخ، وهي في وسط الأقطار العربية. ولم يسكنها اليهود إلا فترة من الزمن كان أكثرها مليئا بالمجازر والمآسي. ثم أجلوا عنها. والآن يراد أن يعادوا إليها. وبهذا سيظلم اليهود العرب المسالمين الآمنين. تكاد السموات تتفطر وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدا من كل ما يدّعيه اليهود في فلسطين دنيا ودينا.

وبعد أن أرسلت إلى فخامتكم رسالتي المشار إليها كنت أعتقد، ولا أزال أعتقد، أن حق العرب في فلسطين قد اتضح لكم؛ لأني لم أر في جوابكم لي بتاريخ ٩ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٩م أنكم لاحظتم أي ملاحظة على الحقائق التي ذكرتها في رسالتي السابقة. وكنت أودّ أن لا أضيع وقت فخامتكم وأوقات رجال حكومته بهذه القضية في هذا الوقت الحرج، لكن الأنباء المتواترة عن عدم تورّع هؤلاء الصهاينة في إثارة دعواهم الظالمة الخاطئة هي التي جعلتني أذكّر فخامتكم بحقوق المسلمين والعرب في البلاد المقدسة لتمنعوا هذا الظلم، وليكون بياني لفخامتكم عونا على إقناع الأميركين بحقوق العرب في فلسطين، ويدرك الأميركيون – الذين يريد اليهود الصهاينة بالدعاية أن يضللوهم – الحقائق الواقعة فيساعدوا العرب المظلومين، ويكللوا جهودهم الحاضرة بإقامة الحق، والعدل في كل أنحاء العالم.

وإذا تركنا جانبا العداوة الدينية بين المسلمين واليهود منذ ظهـور الإسـلام، والتي كان سببها تصرّف اليهود الغادر تجاه المسلمين ونبيهم، وإذا تركنا كل ذلـك جانبا ونظرنا إلى قضية اليهود من الناحية الإنسانية البحتة وجدنا الأمر كما ذكرته في رسالتي السابقة من أن فلسطين، باعتراف كل من عرفها من سائر أبناء البـشر، لا تستطيع أن تحل المشكلة اليهودية. ولقد فرضنا أن هذه البلاد تعرضت للظلم بكـل صوره، وأن كل عرب فلسطين، رجالا ونساء وأطفالا قتلوا وأخـذت أراضـيهم وسلّمت كلها لليهود فإن ذلك لن يحل المشكلة اليهودية ولن تكون هناك أرض كافية لليهود. فلماذا إذن يراد القيام بهذا الظلم الفريد في تاريخ البشرية إذا علم بأنه لـن يؤدي إلى نتيجة مرضية لقتلة المستقبل ونعني بهم اليهود؟

لقد ذكرت لفخامتكم في رسالتي السابقة أننا إذا نظرنا إلى الموضوع من وجهة نظر إنسانية فسنجد أن البلاد الصغيرة المسمّاة فلسطين قد جلب إليها عنـد بدايـة الحرب الحالية حوالي أربعمئة ألف يهودي. وكانت نسبة اليهود إلى السكان عند نهاية الحرب العالمية الأولى ٧% فقط. لكن هذه النسبة زادت حتى وصلت قبيـل بـدء الحرب الحالية إلى ٢٩%، وما زالت هذه الزيادة مستمرة، ولا ندري أين ستتوقف. لكننا نعلم أن اليهود قبل الحرب بقليل يمتلكون ١،٠٠٠،٣٣٢ دونما مـن أصـل ٧،٠٠٠،٠٠٠ دونم من الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين جميعها.

إننا لا ننوي القضاء على اليهود ولا نطالب بذلك، ولكننا نطالـب بـأن لا يقضى على العرب من أجل اليهود. إن العالم يجـب أن لا يـضيق عـن اسـتيعاب اليهـود. فالحق لو أن كل بلد من بلدان الحلفاء تحمّل عشر ما تحملتـه فلـسطين لأمكن حلّ المشكلة اليهودية وإسكانهم. وكل ما نرجوه الآن مساعدتكم في إيقـاف سيل الهجرة بإيجاد مكان يعيش فيه اليهود غير فلسطين، ومنع بيع أراضيها علـيهم

منعا باتا. وبعد ذلك ينظر الحلفاء والعرب في موضوع تأمين إسكان أولئك اليهود الذين يمكن أن تتحملهم فلسطين من اليهود المقيمين فيها الآن.

وإني إذ أكتب إلى فخامتكم هذه الرسالة لواثق بأنكم ستقبلون رجاء صديق يشعر بأنكم تقدّرون الصداقة كما تقدّرون الحق والعدل والمساواة، ويعلم أن أعظم أمل للشعب الأميركي أن يخرج من هذا الصراع العالمي فرحا بانتصار المبادئ التي يقاتل من أجلها، وهي تأكيد حرية كل شعب وإعطاؤه حقوقه؛ لأنه – لا سمح الله – لو أعطي اليهود بغيتهم فإن فلسطين ستبقى إلى الأبد مقرا لفتن واضطرابات كما حدث في الماضي. وسوف يسبب هذا مشاكل للحلفاء عامة ولصديقتنا بريطانيا العظمى خاصة. وإن اليهود، بما أوتوا من قوة في المال والعلم، قادرون على إثارة العداوة بين العرب والحلفاء في أي لحظة. وقد كانوا سبب كثير من المشاكل في الماضي.

وكل ما نحرص عليه الآن أن يسود الحق والعدل في حل المشاكل المختلفة التي ستظهر بعد الحرب وأن تكون العلاقات بين العرب والحلفاء دائما أقوى وأحسن ما يكون.

وفي الختام أرجو أن تتقبلوا فائق تحياتي.

كتب في مخيمنا في روضة خريم

في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين بعد الثلاثمائة والألف هجرية الموافق لليوم الثلاثين من شهر أبريل سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادية.

عبد العزيز

وقد أجاب الرئيس روزفلت الملك عبد العزيز بالرسالة التالية:

"في ١٥ من تموز (يوليو) عام ١٩٤٣م الموافق ١٩ من رجب ١٣٦٢هـ".

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود – ملك المملكة العربية السعودية – الرياض.

أيها الصديق العظيم:

لقد تلقيت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٣٠ من أبريل عام ١٩٤٣م المتعلقة بالشؤون التي تمس فلسطين، وإني أقدّر روح الصداقة التي أبديتموها في إعرابكم عن هذه الآراء. ولقد لاحظت بعناية الآراء الواردة في هذه الرسالة، وكذلك تلك التي اشتملت عليها رسالة جلالتكم المؤرخة في ٢٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٨م والرسالة الشفوية التي حملها السيد كيرك، الوزير الأميركي في نهاية زيارته الأخيرة إلى الرياض، ولا شك أن جلالتكم قد تلقيتم رسالتي التي بلّغها السيد موسى إلى سمو الأمير فيصل. وكما ذكرت في تلك الرسالة يبدو لي من المرغوب فيه للغاية أن العرب واليهود ممن تهمهم المسألة يتفاهمون تفاهما وديا في ما يتعلق بفلسطين، وذلك بمساعيهم الخاصة قبل نهاية الحرب، وإني لسعيد بهذه الفرصة، على أي حال، لأعيد تأكيدي بأن وجهة نظر حكومة الولايات المتحدة أن لا يتخذ أي قرار يغير الوضع الأساسي الفلسطيني دون التشاور الكامل مع كل من العرب واليهود.

وفي الختام أكرر التعبير عن أطيب التمنيات لدوام صحة جلالتكم والرفاهية لشعبكم.

صديقكم المخلص فرانكلين.دي.روزفلت

قائمة أوراق وليم إيدي بجامعة برينستون

William Alfred Eddy Papers, 1859-1978: Finding Aid

Princeton University Library

Summary Information

Creator:

Eddy, William A. (William Alfred), 1896-

Title and dates:

William Alfred Eddy Papers, 1859-1978

Abstract:

The papers of William A. Eddy (1896-1962), educator, diplomat, minister to Saudi Arabia, intelligence agent, and college president, focus on his presidency of Hobart College (1936-1941), his work in U.S. - Middle East policy, and his family life in the period from 1917-1962. The holdings of his personal and family correspondence is extensive. The collection contains all correspondence from his term as president of Hobart College, 1936-1941. Many military documents are included, especially in the years 1941-1946 (the planning of the North African landings, the FDR/Ibn Saud meeting, the Treaty of the Yemen). There are many geneological papers and letters from Eddy's relatives concerning American missionary work in the Middle East. There are numerous publications concerning 18th C. English literature, religious and civic duties, U.S. Foreign

policy re Israel and the Arabs, and sociological accounts of the Middle East. The collection is composed of personal/professional correspondence, documents, diaries and notebooks, addresses, publications, manuscripts of Eddy's books and articles (including unpublished MSs), scrapbooks, photographs, negatives, and memorabilia.

Size:

10.5 linear feet

Call number:

MC041

Location:

Princeton University Library. Dept. of Rare Books and Special Collections.
Seeley G. Mudd Manuscript Library.
Public Policy Papers.
Princeton, New Jersey 08544 USA

Language(s) of material:

English. A small portion of the material is in French, with no translation. A certain amount of the material concerning the Middle East is in Arabic; there is nearly always a translation by Eddy clipped to it (the accuracy and/or completeness of which has not yet been determined).

Biography of William A. Eddy

William A. Eddy was born in Sidon, Syria, on March 9th, 1896. He was graduated from Princeton in 1917, the year in which he married Mary Garvin. His A.M. and Ph.D were also from Princeton. In WWI he was badly wounded at Belleau Wood and received many citations. From 1922-1936 he taught English at Peekskill Military Academy and Dartmouth College, and was chairman of the department of English at the American University, Cairo. In 1936 he was called to be president of Hobart College. With the outbreak of the second World War he offered his services again to the

Marines, was commissioned a Major and was made a full colonel in the staff of Mark Clark. In 1942 Eddy was Naval Attache in Tangier, and was instrumental in the planning of the Allied North African landings. In 1944 he resigned from the Marine Corps to become Minister Plenipotentiary to Saudi Arabia. Fluent in Arabic (and French), he acted as interpreter for President Roosevelt and King Ibn Saud of Saudi Arabia during the historic meeting in the Suez Canal, and was key in developing the U.S. treaty with The Yemen in 1946. He served in the OSS and CIA for the remainder of his life, and was also a full-time consultant for the Arabian-American Oil Company. He died at his home in Beirut in 1962.

Description

Consists of papers of Eddy (Princeton Class of 1917). Included are notes and articles (and drafts) concerning his interests in the Arabic language, 18th-century literature, and Jonathan Swift; Hobart College presidency correspondence and related scrapbooks; military documents regarding his role in planning WWII North African landings, the President Roosevelt/King Ibn Saud meeting at the Suez Canal, and the U.S. treaty with Yemen (1946); numerous addresses, some college journals, and class notebooks; and photographs of Middle East dignitaries and landscapes. In addition, there are genealogical papers, memoirs, family correspondence, and papers (1937-1978) of his wife, Mary Garvin Eddy.

Arrangement

Organized into the following series:

- Series I, Correspondence, (1858-1978)
- Series II, Documents, (1917-1969)
- Series III, Publications, (1920-1963)
- Series IV, Addresses, (1924-1957)

- Series V, Diaries and Notebooks, (1914-1961)
- Series VI, Memorabilia, (1918-1963)
- Series VII, Photographs and Negatives, (1890-1976)
- Series VIII, Scrapbooks, (1936-1949)

Collection is open for research use.

Restrictions on Use and Copyright Information

Single photocopies may be made for research purposes. Permission to publish materials from the collection must be requested from the Curator of the Public Policy Papers. Researchers are responsible for determining any copyright questions.

Acquisition and Appraisal

Provenance and Acquisition

The Papers were in the possession of his wife, Mary Garvin Eddy, who donated the papers in 1978. Personal correspondence from 1914-1918, 1935, and the 1940s was donated by his daughter, Mary Garvin Eddy Furman, in 1991.

Processing and Other Information

Processing Information

This collection was processed by C. A. Prettiman in July, 1991. Finding aid written by C. A. Prettiman in July, 1991.

Descriptive Rules Used:

Finding aid content adheres to that prescribed by *Describing Archives: A Content Standard.*

Encoding:

Machine-readable finding aid encoded in EAD 2002 by Techbooks and Cristela García-Spitz on November 3, 2006.

Finding aid written in English.

Preferred Citation

Identification of specific item; Date (if known); William A. Eddy Papers, Box and Folder Number; Public Policy Papers, Department of Rare Books and Special Collections, Princeton University Library.

Subject Headings

These papers have been indexed in the Princeton University Library online catalog using the following terms. Those seeking related materials should search under these terms.

- Swift, Jonathan, 1667-1745 -- Criticism and interpretation -- 20th century.
- American University in Cairo. Dept. of English and Comparative Literature.
- Arabian American Oil Company.
- Hobart College -- Presidents -- 20th century.
- Princeton University. Class of 1917.
- Arabic language.
- Diplomatic and consular service, American -- Saudi Arabia -- 20th century.
- Diplomatic and consular service, American -- Yemen -- 20th century.
- English literature -- 18th century.
- Petroleum industry and trade -- Saudi Arabia.
- World War, 1939-1945 -- Secret service -- United States.
- Middle East -- Kings and rulers -- Photographs.
- Saudi Arabia -- Photographs.
- Saudi Arabia -- Foreign relations -- United States -- 20th century.
- United States -- Foreign relations -- Saudi Arabia -- 20th century.

- United States -- Foreign relations -- Treaties -- 20th century.
- United States -- Foreign relations -- Yemen -- 20th century.
- Yemen -- Foreign relations -- United States -- 20th century.
- Correspondence.
- Documents.
- Family papers.
- Photographs.
- Scrapbooks.
- College presidents -- United States.
- Diplomats -- United States.
- Eddy, Mary Garvin.
- American history/20th century
- Diplomacy
- Middle East
- World War II

Contents List

Series I CORRESPONDENCE A-Z, (1858-1978)

Series Description

Series I, Correspondence: (1858-1978) The Correspondence is divided alphabetically by correspondent and chronologically within these sections. "General Correspondence" deals with Eddy's professional, day-to-day correspondence, and the "William A. Eddy" series contains his personal letters. A large portion of the collection is letters to and from his wife and four children (much of it carbon copies; the originals still may be retained by the three surviving children). A great number of his wife's personal papers are included. Other extensive selections are the professional correspondence from the Hobart presidency

(1936-1941), personal correspondence from the World War I era, and files on Tangier (1942) and The Yemen (1946). Individual files include correspondence with Dorothy Thompson, Robert Murphy, and John Foster Dulles.

	Box
Re "Adventures in the Arab World", 1952-1961	1
Ailing, Paul, 1939-1944	1
re Apple Blossom Festival, 1938-1939	1
Abdul Aziz, Faisal Ibn, 1955	1
Condolences, 1962	1
Cowley, W.H., 1938-1939	1
Dulles, John Foster, 1953-1954	1
Eddy (Costinett), Carmen Frances	
1936-1950	1
1951	1
1952	1
1953	1
1954-1956	1
1957-1960	1
1961-1962	1
1963-1963	1
Eddy, Elizabeth Mills Nelson, 1917-1931	1
Eddy, John Condit (and family)	
1939-1944	1
1945-1946	1
1948-1951	1
1952	1

1954-1956	2
1957-1958	2
1959-1961	2
1962	2
1963-1964	2
1965-1967	2
1968-1973	2
Eddy, Mary Garvin	
1937-1938	2
1939	2
1940	2
1941	3
1942-1943	3
1944	3
1945	3
1946-1949	3
1950	3
1951	3
1952	3
1953-1954	3
1955	3
1956-1957	3
1958-1959	3
1960-1961	3
1962	3
1963	3
1964	3
1965	3

1937 Jan-July	8
1937 Aug-Dec	9
1938 Jan-July	9
1938 Aug-Dec	9
1939 Jan-Feb	9
1939 Mar-July	9
1940-1941	9
Hutchinson, Elmo H., 1955-1956	9
Invitations, 1923-1958	9
re Israel, 1960-1961	9
re Rene Malvergne, 1961	9
Medical correspondence, 1948	9
re Memorial Scholarship Fund, 1962-1964	10
Murphy, Robert, 1942-1946	10
re Persian Gulf Command, 1956	10
re Ninth Crusade, 1954	10
re Posthumous book, 1963	10
Schuller, Thomas C., 1963-1965	10
re Sidon property, 1952,1961	10
Tangier, 1942	10
Thompson, Dorothy, 1950	10
Van Dyke, Henry, 1925	10
World War I letters/testimonials, 1917-1921	10
re The Yemen, 1946	10

Series II DOCUMENTS, (1917-1969)
Series Description
Series II, Documents: (1917-1969) The Documents

principally concern Eddy's military promotions, citations and service records from both World Wars, medical records, geneological information, part of his will and property deeds, and a list of books in his personal library. They are arranged chronologically.

	Box
Garvin Family History/Geneology, 1800s-1900s	10
re Belleau Wood, 1917-	10
WWI promotions, citations, 1917-1941	10
Illness, 1919	11
Missionary council, 1928	11
Building permit, 1933	11
U.S. Marines, 1936	11
North Africa landings, 1941	11
Naval attache, 1941	11
Navy/Marine Corps, 1943-1949	11
Commendations, 1946	11
Conference with Adlai Stevenson, 1954	11
Geneological materials, 1953	11
Near East, 1959	11
Will, property deeds, 1961	11
Eddy estate, 1962	11
Royalties, 1963-1968	11
Personal library, 1969	11

Series III PUBLICATIONS, (1920-1963)
Series Description
Series III, Publications: (1920-1963) These are

publications by William A. Eddy only; no publications concerning him by others are included in this collection. These articles are essentially of three types: the earliest are articles from scholarly journals concerning eighteenth-century English literature, especially satire. From his academic career also are many sermons and pamphlets of a religious nature. The third type of article is from popular magazines and concerns U.S.-Middle Eastern relations. They are arranged chronologically.

صورة النسخة الإنجليزية من الوثيقة

F.D.R. MEETS IBN SAUD

By

WILLIAM A. EDDY
Colonel, U.S. Marine Corps, Retired
First U.S. Minister Plenipotentiary to the
Kingdom of Saudi Arabia (1944-1946)



America-Mideast Educational & Training Services, Inc.
1730 M Street, NW, Suite 1100
Washington, DC 20036-4505

Established in 1951, America-Mideast Educational and Training Services, Inc. (AMIDEAST) is a private, nonprofit organization working to strengthen mutual understanding and cooperation between Americans and the peoples of the Middle East and North Africa.

Reprinted by Selwa Press 2005
Selwa Press
1101 Portola St.
Vista, California 92084

To

Mary Garvin Eddy and Carmen Frances Eddy

who cheerfully shared the austerity, anxiety, as well as

the adventure of Jidda in wartime.

KING IBN SAUD

THE KING OF SAUDI ARABIA, WHO SIGNED HIMSELF "Abdul Aziz Al Saud" but who has come to be known as "Ibn Saud," was one of the great men of the twentieth century. He won his kingdom and united his people by his personal leadership. He possessed those epic qualities of the leader which Samuel recognized in Saul;* he excelled in the common tasks which all must perform. He was taller, his shoulders were broader, he was a better hunter, a braver warrior, more skillful in wielding a knife whether in personal combat or in skinning a sheep, he excelled in following the tracks of camels and finding his way in the desert. In him his subjects saw their own lives in heroic size, and therefore they made him their king.

For the first time in history he united the Arabian Peninsula, combining its two industries: on the west coast are the holy cities of Mecca and Medina with the annual pilgrimage of the faithful from all over the Muslim world, and on the east coast is the more recent industry of Saudi Arabian oil which has brought the Americans and prosperity. The King was shrewd, self-taught, and very intelligent. His

* "There was not a goodlier person than he; from his shoulders and upward he was higher than any of his people." (I Samuel IX:2)

position was that "Allah gave Arabia the true faith and gave the western world the iron," by which he meant technology and all its fruits-the telephone, the radio, the airplane, the railroad, and the water pump. Keeping pure what is covered by the Koran–religion, family life, marriage, education, and Canon Law–he accepted the "iron," the technical skills of the West. Able to converse with him as I was in his own language, he often talked with me informally as well as officially from 1944 to 1946. Since then he grew older and feebler, but this is a story of the years before he began to fail.

In those days he was still the very able soldier and shepherd king, feared by his enemies and beloved by his subjects and by his friends. He has thirty-seven living sons, and daughters whose number is untold. The ladies of the family of a Muslim are a private concern–not the business of any stranger, nor of the public. The King had, it is said, a total of one hundred twenty-five wives during his life, although there was no queen and no princess. The number of these wives, while it might seem to be merely evidence of capacity for affection, is equally to be explained by the political strategy to unite the tribes of the Arabian Peninsula in allegiance to himself, a royal policy not wholly unknown to Queen Victoria, who scattered her descendants upon the thrones of Europe.

In the winter of 1945 Mrs. Eddy (with our small daughter, Carmen) was the first American lady ever received in audience at court by Ibn Saud, so that it is only in very recent years that there has been any direct contact between our American ladies and the patriarchal court of Arabia.

I. PREPARATIONS

Before the Allied landing on the coast of North Africa on November 8, 1942, the handful of us who knew the date and place of the landings were terrified lest we might talk in our sleep. In those days before the landings it was imperative that one neither cancel nor increase normal engagements of any kind lest he give the alert. One must plan to go to the tailor as usual to be measured for a suit, or to a barber for a haircut, or to invite Spanish friends in for a cocktail party which will never come off, just as though nothing were to happen.

We in Jidda were under the same strain in February, 1945. I had been informed that on his way home from Yalta F.D.R. wanted to meet the King secretly on board a cruiser in the Great Bitter Lake in the Suez Canal, and I was told to arrange for this meeting. Secrecy was of the first importance because of the need to protect the security of Mr. Roosevelt.

We were still at war with Germany, bombs were still being dropped on Cairo and on the Suez Canal, and a target more attractive to German bombers could hardly be imagined than a cruiser with the American President and the Arabian King on board. Until a day or two before the departure for the meeting, there were only five persons in Arabia who knew about the plans: the King; his Foreign Minister, Yusuf Yassin; a coding clerk in the American Legation; and Mrs. Eddy and myself.

Preparations

Several days earlier, the King and his retinue had come from Mecca forty-five miles away to Jidda for the customary annual visit during which the King would meet the officials and notables of the province of Hejaz, receive petitions from his subjects, and distribute charity and food to the poor. A week or so before the date we had announced that the destroyer, U.S.S. MURPHY, would drop anchor in Jidda harbor for a courtesy call during a routine cruise through the Red Sea. This created some comment since no U.S. naval vessel had ever been at Jidda. But the first visit was accepted without any suspicious rumors and the morning before the departure, February 11, 1945, Commodore John S. Keating and Captain B. A. Smith of the MURPHY came ashore to pay their respects to the King and the Jidda palace, to the viceroy of the Hejaz, Amir Faisal, and to the Kaimakam, or Governor, of Jidda. That evening Mrs. Eddy entertained at a buffet dinner on the roof of the Legation the sixteen of the twenty-one ship's officers who could be given shore leave at the same time, and all the Americans in the vicinity, a total of forty-five-the largest gathering of Americans in Jidda to date.

The success in keeping the secret in Jidda, where news both true and false travels through the Suq with the speed of light, was really remarkable. Secrecy was aided by the fact that the King had never left Saudi Arabia even to visit neighboring Arab rulers. F.D.R. had assisted in withholding information from the British intelligence by only telling Winston Churchill on the evening before they separated at Yalta of his intention to meet the three rulers of Near Eastern countries: Ibn Saud, King Farouk of Egypt, and Haile Selassie, the Emperor of Ethiopia. Churchill did not like the plan. He burned up the wires to all his diplomats in the area, demanding that appointments with him be made with the same potentates after they had seen F.D.R.

Churchill was thoroughly nettled at the news that the Americans were making a direct approach to these heads of

states in an area the British had come to consider a sort of special preserve–as, indeed, it had been for scores of years. He made it clear that he considered going over the head of the British government uncooperative, especially if no Britisher were to be present to hear the conversation, and was determined to see each of the Kings, as speedily thereafter as possible to preserve the British position.

He did manage to see them all after F.D.R. left, but without necessarily achieving his purpose. Nothing Churchill could say to Farouk would remove his hate for the British. Ibn Saud did not even answer Churchill's invitation to meet him until he had gotten F.D.R.'s approval, since he was making the trip to meet F.D.R. and did not want to show any discourtesy to his principal host.

As for Ibn Saud's visit with Churchill at Fayoum Lake near Cairo, whether or not it was successful from the British point of view I do not know, but I do know that the King did not enjoy his return trip to Jidda. The British are said to have told him that whereas the Americans had taken him to the Suez Canal on a destroyer, they were going to return him on a cruiser, H.M.S. AURORA, indicative of the greater prestige of Great Britain. However, the King told me later that his return trip was very dull–the food was tasteless; there were no demonstrations of armament; no tent was pitched on the deck; the crew did not fraternize with his Arabs; and altogether he preferred the smaller but more friendly U.S. destroyer.

To return to the story of the preparations for departure . . . At 3 P.M. on the day of embarkation, February 12, 1945, the King simply and suddenly gave orders at the Jidda palace to break camp and "strike the tents" for the return to Mecca. There was nothing strange about this order since the King normally makes such decisions for immediate execution without advance notice to those about him. He dispatched a telegram in code to the Crown Prince, Amir Saud, in Riyadh,

telling him to carry on in his father's name until further notice. He called his second son, Amir Faisal, told him of his departure, and of its purpose, and instructed Faisal to take complete charge in the Hejaz and to take any measures necessary to keep order in Jidda, Mecca, and elsewhere. He then announced the list of those who were to travel with him in his motorcade to Mecca, entered his car, and gave instructions for the automobiles to drive not to Mecca but directly to the pier at Jidda. There the launches from the MURPHY were waiting, the King and his party embarked; at 4:30 P.M. the MURPHY weighed anchor and started on its journey to Suez. Simultaneously, Jidda was plunged into hysterical commotion.

The rumors which flew about like bolts of lightning cancelled each other out, leaving the people stunned and bewildered. Hashemite enemies with long memories proclaimed that the King had fled his country and deserted his people as King Hussein had fled from Jidda aboard a British warship a generation ago. Others declared at the top of their voices that the King had been kidnapped by the Americans. The only known fact was that he had embarked and gone away. The ladies of the King's harim (that is, the quota which had accompanied him to Jidda) put on their mourning clothes, put ashes on their heads, and in a solid platoon descended upon the Viceroy, Amir Faisal, weeping and wailing at their abandonment by their protector. Faisal bade them return to their quarters saying, "By Allah, why all this commotion? He told me only an hour ago, and he has left the Kingdom in my charge." The British colony at Jidda in a cool, well-bred way, was furious at having what Americans would call "a fast one" pulled on them. That night, Mrs. Eddy went alone to a British dinner party–the invitation to which we had both accepted. She reported that, in spite of the perpetual torrid heat of the Jidda climate, she found at that party an unprecedented frost, with the temperature well below freezing!

II. EMBARKATION

A FEW HOURS BEFORE THE LAUNCHES WITH THE ARAB party came alongside the destroyer, several large dhows also arrived at the ship laden with tons of vegetables, sacks of grain and rice, and one hundred of the best and fattest sheep. In other words, the normal provisions which the King would provide for an extensive sojourn in the desert. He had given orders that everybody on the ship must eat of his bounty, including the American sailors who had come to Saudi Arabia. The Saudi Minister of Finance, Shaikh Abdullah Sulaiman, preceded the King on board ship and told Commodore Keating that all these provisions and the one hundred live sheep must be loaded at once by royal order of His Majesty. The Commodore had quite contrary and standing orders from the U.S. Navy and he was fortunately able to stall until I arrived with the King on the pretext that he did not fully understand what was being asked of him through a very halting interpreter. I was immediately in the middle of a conflict, and I was destined to stay in the middle for a week. I explained to the King that the Commodore had 60-days provisions in the lockers on board, adequate for all. The King replied that this made no difference–his American guests must eat from his table

and from the produce of his country, and particularly they must eat the freshly slaughtered lamb every day. The Navy replied that their lockers also included frozen meat–more than enough for everybody. The King had not yet, however, had any experience with refrigeration in his country where meat spoils within twenty-four hours and he brushed aside this superstitious proposal that anyone could eat meat sixty days old, insisting that fresh sheep must be slaughtered daily on board. Finally, he had to be told that the sailors would be put in prison if they disobeyed Navy regulations and ate anything except the Navy rations provided for them, and surely he did not wish all of these good sailors to be dishonored for life and imprisoned unnecessarily!

He then compromised, shaking his head over the curious ways of the Unbeliever, but insisted that his Arabs as good Muslims must obey the ceremonial and dietary laws of their own land. No Saudi Muslim ever ate meat more than twenty-four hours old. Commodore Keating, with a couple of dirty looks at me, finally agreed to take seven live sheep on board out of one hundred. As Mrs. Eddy went out in a launch to lunch on the MURPHY, she saw the other ninety-three returning to shore on their dhow, reprieved to live a little longer. As the MURPHY steamed out of Jidda harbor, to the amazement of the sailors, one of the seven sheep was already being skinned on the fantail of the destroyer.

My original instructions from the U.S. Government had been to explain that the party accompanying the King must be limited strictly to four notables and a maximum of eight servants and bodyguards. From the American point of view this was more than adequate, since everything the King might need would be provided for him during his absence. This limitation in numbers was imposed partly by lack of space on a destroyer and partly to facilitate secrecy, since a small party can move less conspicuously than a larger one. I conveyed the invitation with these conditions, but I had also

warned our Government to expect the party to double in size before the King embarked, because I knew what competition there would be among the princes and others to accompany the King, and because of the custom of the King of traveling with many attendants in the style of a bedouin chief. In the preliminary conversations Yusuf Yassin had told me confidentially that the party must include a harim for the King, since the King cannot be considered to be traveling in state unless he has accommodations which provide for his family as well as for himself and his men. I was able to kill this, however, by explaining the impossibility of seclusion on board a destroyer whose ladders and companionways must remain open for the passage all day long of able-bodied seamen going about their business of making the ship run. I assured him that the King would not want his ladies trying to navigate the companionways which were very steep and narrow and where a sudden lurch of the ship might throw them off balance and unveil (at least) their faces. Yusuf Yassin was shocked and disappointed to learn that half the ship could not be curtained off from deck to keel for the King's private use, but I told him the ship could not run that way and we had to make the best of the available space.

The party of Arabs which embarked finally numbered not twelve, but exactly forty-eight, and would have numbered one hundred if the strongest pressure had not been exerted to keep the party down. For two-thirds of these there were, of course, no accommodations whatever aboard the destroyer. The Commodore's cabin had been prepared for the King. Three other officers' cabins were given to the younger brother of the King, Amir Abdullah, his third son, Amir Mohammed, and his sixth son, Amir Mansur, the Minister of Defense. Another cabin was shared by Yusuf Yassin, the Foreign Minister; Adbullah Sulaiman, the Minister of Finance; and Hafiz Wahba, Saudi Minister of State. The rest bunked wherever they could find space-many sleeping in the gun turrets, wrapped up

in their Arab robes in the scuppers, or curled up near the feet of the look-out on the bridge.

Besides those mentioned already, the party included the King's private physician, Dr. Pharaon; Bashir Bey Sa'adawi, Privy Councillor, his chamberlain and major domo, Abdul Rahman Tobaishy; the court astrologer, Majid Ibn Khataila; body-guards coffee-servers (whose splendor of costume contrasted with the King's own unadorned and unjeweled camel-hair robe), cook, scullions, and slaves. The King did not sleep in the Commodore's cabin. Bred and raised in the desert four walls gave him claustrophobia. Canvas was spread over the forecastle deck to convert it into a tent; oriental rugs covered the deck; one of his own chairs, large enough for him to sit in, had been brought aboard, and the King sat on deck and held his Majlis as usual all day long. At prayer times the ship's navigator would give him the exact compass bearing for Mecca which the King would verify with his astrologer Facing toward the holy city he would then lead the entire company of Arabs in their prayers.

III. THE VOYAGE

THE TRIP FROM JIDDA TO SUEZ TOOK TWO NIGHTS and one day. I shall not describe it in detail because the Navy's story of the days on board the U.S.S. MURPHY has already been told dramatically and colorfully by Captain John S. Keating, in command of the cruise.* The voyage was delightful; the weather for the most part was fine. The sailors were much more impressed and astonished by the Arabs and their ways than the Arabs were by life on the U.S. destroyer. Neither group had seen anything like their opposites before, but the difference is that any such violent break with tradition is news on board a U.S. destroyer; whereas, wonders and improbable events are easily accepted by the Arab whether they occur in the Arabian Nights or in real life.

The Arab is by nature a fatalist and accepts what comes as a matter of course and as a gift from Allah, all of whose gifts are equally wondrous, undeserved and unexplained. The Arab gets off a camel and climbs into an airplane without any special excitement even though he has skipped all the intervening stages of the horse and buggy and the automobile. Allah gave the camel the proper equip-

*True Magazine, December, 1953; See also Life, March 19, 1945.

ment to walk on the sand and he gave the airplane wings with which to fly like a bird. There is, therefore, no reason to be astonished at the airplane any more than to be astonished that camels can walk or birds fly.

The Arabs and the sailors fraternized without words with a success and friendliness which was really astonishing. The sailors showed the Arabs how they did their jobs and even permitted the Arabs to help them; in return the Arabs would permit the sailors to examine their garb and their daggers, and demonstrate by gestures how they are made and for what purposes. The Arabs were particularly puzzled by the Negro mess-boys on board who, they assumed, must be Arabs and to whom they insisted on speaking Arabic since the only Negroes whom they had ever known were those who had been brought to Arabia as slaves many years ago. With difficulty they were persuaded that these mess-boys were not only American citizens but as much a part of the Navy and of the United States as any of their white shipmates.

The first morning after a Negro mess-boy (paradoxically named White) had served the King a very full breakfast of fruit, coffee and eggs without ham, he returned a few minutes later with a plateful of hot pancakes and a jug of syrup. The King smiled and declined, saying that he had his fill and did not wish any more. Yusuf Yassin, sitting nearby, eyed the pancakes hungrily. The King observed this look and said, "Yusuf, you are so fat you need extra food to keep you going. Why don't you eat these pancakes?" But this was said in Arabic and the mess-boy did not understand that permission had been given. Yusuf Yassin then reached out for the pancakes which White withdrew beyond his reach, saying, "These pancakes are for the King and nobody else can't have none of them." When translated this brought considerable amusement from the Arab group at the expense of Yusuf Yassin. White made his exit with the pancakes. During the trip the King learned to like a number of American dishes which he had never tasted before, although he continued to have his lamb and rice cooked by

his own servants. He was particularly fond of our American apples and of apple pie ala mode, and since that time American apple trees have been planted in the Al Kharj agricultural experiment station. The last night on board the King insisted on being host to the twenty-one officers on the ship at an Arab meal with only Arab food served. The entire group sat cross-legged on the deck around the King who was in the best of humor and entertained the company with anecdotes of his battles; to their great delight, describing hand-to-hand combats and showing them one of his fingers broken years ago and still immobilized by a fragment of a Turkish cannon ball.

During the day the King was given a demonstration of anti-aircraft fire at smoke targets, and of depth bombs discharged at targets towed behind the ship. He showed keen interest in all phases of the ship's armament. He posed willingly for photographs and movie shots of himself with the ship's officers. After supper and before he retired early, as he always does, a documentary moving picture film was shown on deck before the King and his company. His favorite was the technicolor film of an airplane carrier entitled "The Fighting Lady," which he declared to be wonderful, but added, "I doubt whether my people should have moving pictures even like this wonderful film because it would give them an appetite for entertainment which might distract them from their religious duties." Stories had no doubt reached him of the sinks of iniquity in Cairo where frivolous Hollywood films are very popular.

I said that a good time was had by all on the voyage, but a good time was had by all except me. The matter of movies is a case in point. After the showing of the documentary films on the deck and after the King had retired for the night, the usual ship's movies were shown to the crew below decks. This secret leaked to the ears of the King's third son, Amir Mohammed, who the first morning on board took me aside by

the rail and inquired quietly whether I would prefer to be destroyed all at once or to be chopped up in small pieces, bit by bit. I asked him what was the matter, and he said Hollywood picture were being shown below decks and that he was not invited. Abject with terror, I reminded him that his royal father would not approve of any Arab, much less one of his sons, attending these godless exhibitions of half-naked women, and I begged him to forget the matter. He said very little but what he said was emphatic–to the effect that either he would see these pictures or my children would soon be orphans, and he swore that if I obeyed him he would keep my confidence and not tell his father. To make a long story short, Amir Mohammed and Amir Manṣur, his younger brother, were in the front row at the late showing for the crew that night of a movie which featured Lucille Ball loose in a college men's dormitory late at night, barely surviving escapades in which her dress is ripped off. The film was greeted by whistles and applauding whoops from the crew; an approval fully shared by the two princes. The following repetition of the film was attended by at least twenty-five Arabs. Fortunately, so far as I know news of this orgy never reached the ears of the King.

There were other endless troubles for me, the only link in language and in customs between the 269 Naval personnel and the 48 Saudi Arabs on board. I had a 24-hour job interpreting and mediating; I had to stop Arab servants from making coffee on charcoal burners over the dynamite and re-route sailors who would otherwise pass back and forth in front of Arabs while at their prayers, as no unbeliever should cast his shadow between a praying Muslim and Mecca. I had to keep Arabs out of the engine room and the chart room, and somehow try to locate and round up an Arab who had gotten lost in the ship's labyrinth at a moment when the King had suddenly asked for him. On one such occasion, just as the sun disappeared below the horizon of the Red Sea and the

King was about to lead the Maghrib prayer, he demanded, "Where is Mansur?" but nobody knew. The King told me to find him and produce him. Amir Mansur had gotten lost somewhere, probably mistaking fore for aft, and could not be returned to the forecastle deck until the group prayers were completed. The King was furious. We all stood by very quiet while Mansur went through his devotions twice, fully and correctly. In prayer there is with the devout Muslim no rank and no front pew. Allah is so omnipotent and man is so insignificant that the differences in rank among men are wholly unimportant and indistinguishable in the sight of God.Therefore, no deviation from his religious duty is permitted to a prince any more than to a slave, and the King made it clear to all that his son enjoyed privileges neither with the Almighty nor with himself.

The singleness of belief in an omnipotent God who is so almighty and so remote is illustrated in a Muslim saying which may be translated as follows:

> "Whatever concept your mind comes at,
> I tell you flat,
> God is not that."

While illustrating the supremacy of God, this concept is, of course, very far from the Christian idea that God made himself known in human flesh to human beings. No Muslim would think of calling God a "Father" because a father is a purely human concept. The Muslim is offended by Christian use of phrases such as "Son of God" and "Mother of God."

The last morning before debarkation the King gave gifts in accordance with the custom of the desert Arab. To the Commodore and Captain he gave Arab costumes and gold daggers. To each of the other officers he gave Arab costumes and a watch inscribed with the King's name. Over the loudspeaker it was announced to the entire crew that in appreciation of the many courtesies shown him on board, the

King was giving to each Petty Officer fifteen pounds sterling, and to each seaman ten pounds sterling. A sailor standing near me said, "Gosh, Colonel, how much is that in real money?" The Captain made special arrangements later to have a finance officer board the ship at Port Said to change these pounds into dollars for the sailors. The Commodore and the Captain asked me what they could give the King and I told them that they might give him souvenirs of the trip, particularly some article used regularly on board the destroyer. They gave him gifts of objects which he had already admired: two submachine guns, and a pair of Navy field glasses.

It would be difficult to describe the reactions of the sailors to these weird, courteous, and fascinating Arab travelers. It may be illustrated, however, by the alleged experience of the ship's doctor who, upon arrival alongside the President's cruiser, the U.S.S. QUINCY, in the Suez Canal, having no further duties for the time being, crossed the gangplank to seek out below decks the Navy doctor on the cruiser who had been detained in sickbay and had not been on deck to witness the approach of the destroyer or the crossing of the Arab party over the gangplank. Glad to relax, and perhaps hoping to impress his superior, the doctor from the destroyer began to tell something of the experiences of the last two days: the destroyer's deck, he said, was carpeted with oriental rugs; coffee was cooked regularly over charcoal in the gun-turrets; 7-foot Nubian slaves roamed the ship with clanking scimitars swinging from their belts; live sheep were slaughtered daily on the fantail, etc. The older medical officer from the QUINCY looked at him sharply and said in a kind voice: "How do you find life on a destroyer? Are you sleeping all right? Sure you aren't under a strain? Here, sit down and have a cigarette and relax." The doctor from the MURPHY was very indignant; he insisted that his superior medical officer come aboard the destroyer and see with his own eyes this fantasy of East and West which (in spite of Kipling) did meet east of Suez in the strangest economy ever seen on a U. S. naval vessel.

IV. THE MEETING

AT 10 A.M. FEBRUARY 14, 1945, IN GREAT BITTER LAKE in the Suez Canal the U.S.S. MURPHY tied up alongside the U.S.S. QUINCY which had taken the President from the United States to Yalta and was to take him back home. The rails of the QUINCY were manned but no salutes were fired as the meeting was to be conducted without alerting the neighborhood. The King, the three princes, and the two ministers crossed the gangplank and went to meet the President who was sitting in his wheelchair on deck. The King and F.D.R. conversed on deck for an hour and a quarter. After the preliminary greetings the King right away asked the President whether he should accept Churchill's invitation to see him later–an invitation which he thought might give the President displeasure, but the President said, "Why not? I always enjoy seeing Mr. Churchill and I'm sure you will like him too."

About 11:30 lunch was announced and Admiral Leahy said to me, "You go down with the King in one elevator to the President's private messhall, and I'll bring the President down in the other." I accompanied the King down to the President's private suite where he had plenty of time to wash up and several more minutes to spare before the President appeared in his wheelchair. Admiral Leahy later told me that on the way down in the elevator F.D.R. had pressed the

red emergency button which stopped the elevator between decks and smoked two cigarettes. Out of courtesy for the King's Wahhabi principles the President, a chain smoker, did not smoke at all when he was with the King. The luncheon included, besides the President and the King, the three princes, Yusuf Yassin and Abdullah Sulaiman, Admiral Leahy and Charles Bohlen. Then after lunch all withdrew except the President, the King, Yusuf Yassin, and myself as interpreter, to continue the political conversation until 3:30 P.M. They were thus together at least five very intense hours.

At 3:30 P.M. the Captain of the QUINCY arrived to say that the ship must leave. The King said this was impossible as the President must first come over to the destroyer, his temporary home, to be his guest at an Arab meal; that the establishment of a friendship such as this could not possibly be complete without his entertaining his friend and giving him Arab food. The President explained that much to his regret the movements of the ship and the security clearances for the convoy were inflexible and the schedule must be maintained to the minute. The King seemed very much put out and turning to me he upbraided me violently in Arabic for not having warned him of these arrangements so that earlier in the afternoon he could have acted as host to the President. I told him truthfully that I knew nothing about the convoy's schedule. The King then said to the president, "Will you at least drink a cup of Arabian coffee?" Orders were given and within a very few minutes the two resplendent coffee-servers, brushing past all of the guards, appeared in the President's suite and poured cups of Arab coffee for the President and the King. The following day the President told me that no incident had touched him so much as the pleasure which the King showed on serving coffee from Arabia to his new friend. The King and his party took their leave. They had hardly crossed the gangplank to the MURPHY before the QUINCY weighed anchor and was swifty on its way to Port Said.

The Meeting

The King and the President got along famously together. Among many passages of pleasant conversation I shall choose the King's statement to the President that the two of them really were twins: (1) they were both of the same age (which was not quite correct); (2) they were both heads of states with grave re-responsibilities to defend, protect and feed their people; (3) they were both at heart farmers, the President having made quite a hit with the King by emphasizing his rural responsibilities as the squire of Hyde Park and his interest in agriculture; (4) they both bore in their bodies grave physical infirmities–the President obliged to move in a chair and the King walking with difficulty and unable to climb stairs because of wounds in his legs. With regard to their physical handicaps the President said to the King: "You are luckier than I because you can still walk on your legs and I have to be wheeled wherever I go." To this the King replied: "No, my friend, you are the more fortunate. Your chair will take you wherever you want to go and you know you will get there. My legs are less reliable and are getting weaker every day." The President then said, "If you think so highly of this chair I will give you the twin of this chair as I have two on board," and immediately the order was given and the chair was wheeled across the gangplank to the MURPHY. Whenever the King took friends through his palace at Riyadh, if they were close friends, he showed them his private apartment where his wheelchair rested with the White House tag still on it. The King always said, "This chair is my most precious possession. It is the gift of my great and good friend, President Roosevelt, on whom Allah has had mercy." The King who later used a wheelchair, did not use this gift chair which was built for the very slight and frail F.D.R. and could never be used by the King, a man of terrific physique and stature.

Throughout this meeting, President Roosevelt was in top form as a charming host, witty conversationalist, with the spark and light in his eyes and that gracious smile which always won people over to him whenever he talked with them as a friend.

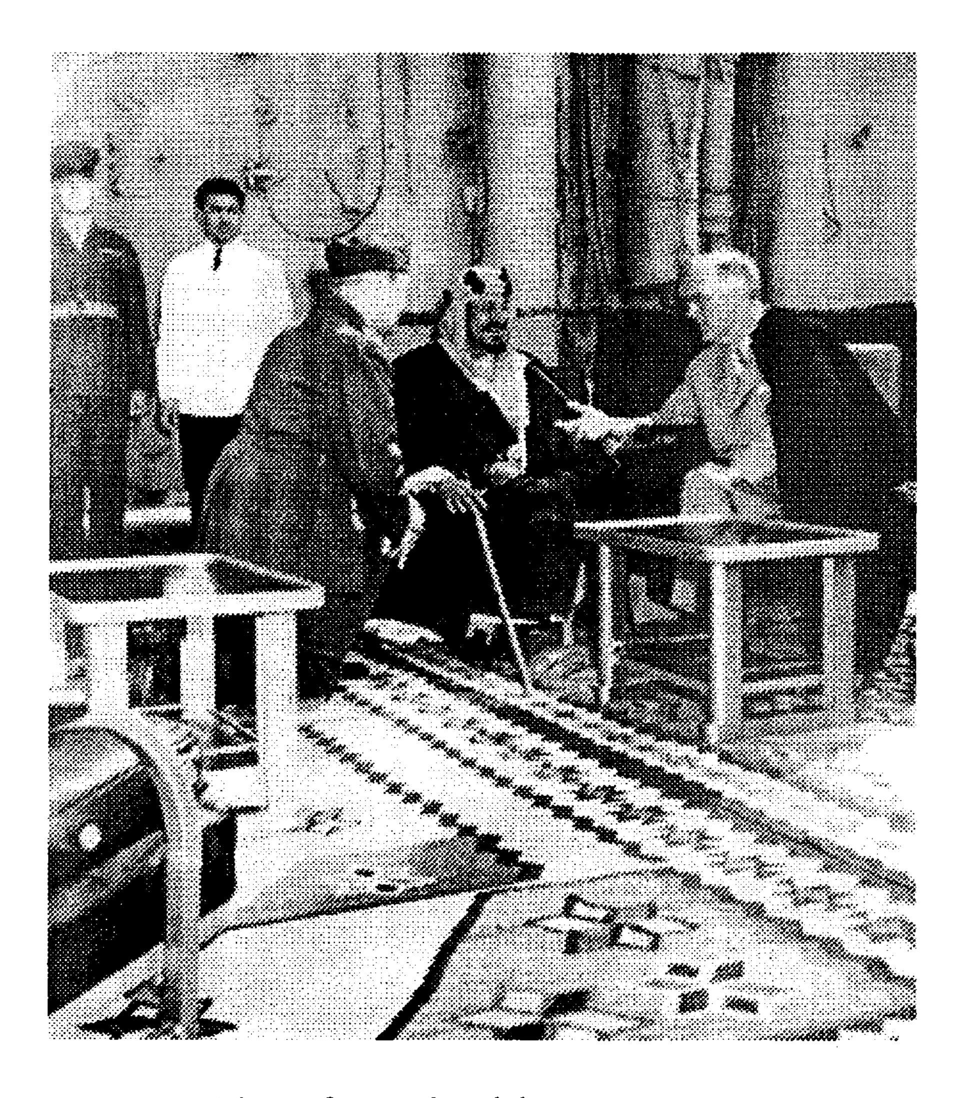
However, every now and then I would catch him off guard and see his face in repose. It was ashen in color; the lines were deep; the eyes would fade in helpless fatigue. He was living on his nerve. His doctors had told him not to go to Yalta. With Ibn Saud he was at his very best; but he was living on borrowed time, and eight weeks later he was dead.

That night Yusuf Yassin and I, with the aid of Merritt Grant (my colleague from the Legation who had accompanied me with his typewriter), beat out a draft of a Memorandum of Conversation on which both King and President had expressed a desire to agree. The memorandum was finally completed in both English and Arabic and before he went to sleep that night the King signed the Arabic text. In the meantime the President's cruiser had gone through the Suez Canal, past Port Said, around the coast of Egypt, to drop anchor for one day in the harbor of Alexandria.

The following morning on February 15, I was flown to Alexandria to submit the memorandum of conversation to Mr. Roosevelt. The President read it and said, "This is all right, just as it is," and signed it without changing a syllable or a comma. Others had joined his party in Alexandria, including Secretary of State Edward Stettinius, and Ambassador to London, John Winant. The statesmen around the President immediately expressed the greatest concern regarding the disposition of copies of the memorandum. Harry Hopkins warned me not to transmit this memorandum through the Legation to the Department, but rather to give him a copy then and there, which copy would suffice for the State Department and prevent the confidential memorandum from being read by a great many secretaries and filing clerks. One copy was of course kept for the President and another copy of the signed English text I took back to the King.



King Ibn Saud comes aboard the U.S.S. Quincy



The conference aboard the U.S.S. Quincy
l-r. Colonel Eddy, King Ibn Saud, President Roosevelt

V. THE CONFERENCE

NOTHING HAS BEEN PUBLISHED ABOUT THE Political conversations because nobody who was present has broken his silence. I am now breaking mine.

The King steadfastly refused to use, quote or show his copy of the memorandum of conversation. He regarded the occasion as one where a personal friendship between two heads of state, and between two men, was established. In his simple Arab view, such friendship depends wholly upon good will and good faith. When these died with F.D.R. and were not revived by his successor, they cannot be resurrected by producing a piece of paper.

As an Arab guest at the meeting, Ibn Saud initiated no topics. He waited for his host to propose subjects for serious discussion. It might be noted in passing that at no time did Ibn Saud even hint at economic or financial aid for Saudi Arabia. He traveled to the meeting seeking friends and not funds, in spite of the fact that, at that date, he had no reason to expect that Arabian oil would be produced in quantity to multiply his national income but, on the contrary, ruled in 1945 over a pastoral land which could not produce enough to feed its population, and a land cut off by war from importing the necessities of life.

The Conference

THE PRESIDENT

After discussing the progress of the war, and expressing his confidence that Germany would be defeated, F.D.R. stated that he had a serious problem in which he desired the King's advice and help; namely, the rescue and rehabilitation of the remnant of Jews in Central Europe who had suffered indescribable horrors at the hands of the Nazis: eviction, destruction of their homes, torture and mass-murder. He, F.D.R., felt a personal responsibility and indeed had committed himself to help solve this problem. What could the King suggest?

Ibn Saud's reply was prompt and laconic: "Give them and their descendants the choicest lands and homes of the Germans who had oppressed them."

F.D.R. replied that the Jewish survivors have a sentimental desire to settle in Palestine and, quite understandably, would dread remaining in Germany where they might suffer again.

The King said that he had no doubt the Jews have good reason not to trust the Germans, but surely the Allies will destroy Nazi power forever and in their victory will be strong enough to protect Nazi victims. If the Allies do not expect firmly to control future German policy, why fight this costly war? He, Ibn Saud, could not conceive of leaving an enemy in a position to strike back after defeat.

In a few minutes, F.D.R. returned to the attack, saying that he counted on Arab hospitality and on the King's help in solving the problem of Zionism, but the King repeated: "Make the enemy and the oppressor pay; that is how we Arabs wage war. Amends should be made by the criminal, not by the innocent bystander. What injury have Arabs done to the Jews of Europe? It is the 'Christian' Germans who stole their homes and lives. Let the Germans pay." Once more, F.D.R. returned to the subject, complaining that the King had not helped him at all with his problem, but the King, having lost some patience, did not expound his views again, beyond stating (with a note of

irony in his voice) that this over-solicitude for the Germans was incomprehensible to an uneducated bedouin with whom friends get more consideration than enemies. The King's final remark on the subject was to the effect that it is Arab custom to distribute survivors and victims of battle among the victorious tribes in accordance with their number and their supplies of food and water. In the Allied camp there are fifty countries, among whom Palestine is small, land-poor and has already been assigned more than its quota of European refugees.

THE KING

Ibn Saud, in his turn, asked F.D.R. for friendship and support. In the conversation the King never seemed to distinguish between F.D.R. as a person and as President of the U.S.A. To an absolute as well as a benevolent monarch, the Chief and the State are the same.

The King stated that his first desire for his land and his people is independence, for which he depends on Allah. Unlike some other Arab lands, his country had never been occupied nor "protected" as a dependent. Without this independence, he would not and could not seek an honorable friendship, because friendship is possible only with mutual and equal respect. Next to independence, the King said, comes his desire for F.D.R's friendship because F.D.R. is known as the champion of the Four Freedoms and of every freedom. Furthermore, the King had found that the U.S.A. never colonizes nor enslaves. In very simple language, such as he must often have used in cementing alliances with tribal chiefs, Ibn Saud then asked F.D.R. for friendship.

The President then gave Ibn Saud the double assurance, repeated just one week before his death in his letter to Ibn Saud, dated April 5, 1945: (1) He personally, as president, would never do anything which might prove hostile to the Arabs; and (2) the U. S. Government would make no change

in its basic policy in Palestine without full and prior consultation with both Jews and Arabs.* To the King, these oral assurances were equal to an alliance; he did not foresee that Death was waiting in the wings to bear the speaker away before the promises could be redeemed. Now that Mr. Dulles has completed the first goodwill tour ever made by an American Secretary of State to the Near East, Ibn Saud's son and successor, for long his father's closest counselor, may again hope that the promise will be revived.

MR. TRUMAN

The historic conference had an anticlimax at the White House which has never been reported.

The first week in October, 1945, the Secretary of State recalled four chiefs of U. S. Missions simultaneously to have them testify as a group to Mr. Truman regarding the deterioration of American political interests in the Near East: the U.S. Ministers in Egypt, Lebanon and Syria (jointly), Saudi Arabia, and the Consul-General to mandated Palestine.

The four arrived for a White House appointment which had been scheduled for about October 10.

The four were kept idle in Washington four weeks, away from their posts and with no duties whatsoever, because the White House advisors, including David K. Niles, persuaded the President that it would be impolitic to see his Ministers to Arab countries, no matter how briefly, prior to the November Congressional elections.

After the elections, the Director of the Near East Office of the Department of State was allowed to bring the four in for a private conference with Mr. Truman. The spokesman for the group, George Wadsworth, presented orally an agreed statement

* The double promise in this paragraph, contained in the letter from F.D.R. to Ibn Saud, April 5, 1945, is the only part of this conference which has ever been published. See N.Y. Times, October 19, 1945.

in about twenty minutes. There was little discussion and the President asked few questions in the meeting whose Minutes have been carefully guarded in the Department of State. Finally, Mr. Truman summed up his position with the utmost candor: "I'm sorry, gentlemen, but I have to answer to hundreds of thousands who are anxious for the success of Zionism; I do not have hundreds of thousands of Arabs among my constituents."

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

February 15, 1945.

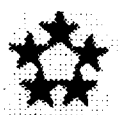
My dear Colonel,

I wish to tell you how much I admire and appreciate the manner in which you handled all the arrangements for my meeting with King Ibn Saud. I know that the successful results involved most painstaking and delicate preparations on your part. It was for me a most interesting and stimulating experience and I want you to know how fully I am aware of the important part which you played, not only in the arrangements, but also in the conversation itself in making our meeting so outstanding a success. With my kindest wishes,

Very sincerely yours,

Franklin D. Roosevelt

Honorable W. A. Eddy,
The American Legation,
Jidda, Saudi Arabia.



FLEET ADMIRAL WILLIAM D. LEAHY, U. S. N.

17 September 1953

Dear Colonel Eddy:

Please accept this expression of high appreciation of your understanding courtesy in sending me a copy of your splendid narrative of the meeting of Franklin Roosevelt and Abdul Aziz Al Saud on board the U.S.S. Quincy in Bitter Lake of the Suez Canal on February 14, 1945.

I find your narrative is in complete agreement with so much of the meeting as it was possible for me to understand with my complete lack of knowledge of the Arabic language, as well as with my estimate of the character of the king with my same linguistic limitations.

Your narrative will be treasured with my most valued notes of the war years.

My congratulations on all your efforts on behalf of the friendly Arabs wherever they were at that time. If Franklin Roosevelt had been permitted to remain with us longer your success would have been greater.

With high personal regards,

Sincerely,

William D. Leahy

Colonel William A. Eddy, U.S.M.C.
340 Shoreham Building
Washington 5, D. C.

VI. THE RETURN

HAVING TAKEN MY LEAVE OF THE PRESIDENT I WAS asked by his daughter, Mrs. Anna Roosevelt Boettiger, to come below and explain to her the contents of several enormous parcels which had been delivered to the QUINCY addressed to Mrs. Franklin D. Roosevelt and to Mrs. Boettiger. I went down to find a royal parade of gifts on view in a cabin. There were several complete full-dress harim costumes, beautifully embroidered in many colors of silk. Arabian ladies are limited in their opportunities to impress others with these beautiful gowns since they are worn only indoors and seen only by the husband, father, sons, and other ladies. In addition to the harim clothes, the gifts included several vials of rarely tinted glass, others of alabaster, containing the perfumes of Araby, including the favorite of all–attar of roses. Also there were large pieces of uncut amber, the like of whose size I have never seen, from the bottom of the Red Sea. From the eastern coasts of Arabia there were pearl rings, pearl earrings, pearl-studded bracelets and anklets, and belts woven of gold thread with cunning devices, the skill which has reached its highest perfection in Saudi Arabia, the crowning achievement in handiwork of the women of the Hasa.

The Return

While I was going over the gifts with Mrs. Boettiger, Churchill arrived on board and was with the President when I emerged on deck. The President introduced me to Mr. Churchill And said facetiously, "This is my Minister to Arabia. He has Ibn Saud on one of my destroyers and I haven't decided yet whether or not you are going to see the King." Mr. Churchill merely rolled his cigar around between his lips, and grinned confidently.

The principal present from the King to the President, a beautiful diamond-encrusted sword, had not been delivered to me at the airplane in time for me to take to Alexandria. The King, however, directed that it be entrusted to me and that I be made responsible for seeing that it reached Mr. Roosevelt. Late that afternoon the King and his party debarked from the MURPHY into a motorcade of cars provided by the British and drove off to the Fayoum Oasis where he was to meet Churchill. It was a relief to know that my responsibilities were over, without any potentate being assassinated or any miscarriage of the confidential arrangements. To be sure, I was not entirely in the clear because I still had the sword which, fortunately, was in a very plain-looking box and would not therefore especially attract a homicidal thief. The next day General Giles sent a special officer-courier with the sword on a plane going to Algiers where the QUINCY was to anchor briefly.

Thus ends my narrative of this historic meeting. The President returned to Washington to live long enough to make in person one address to Congress in the course of which he said, ad lib, "I learned more [about Palestine and the Near East] by talking with Ibn Saud for five minutes than I could have learned in exchange of two or three dozen letters."*

* See N.Y. Times, March 2, 1945. In Robert Sherwood's Roosevelt and Hopkins, Mr. Hopkins conveys the curious impression that President Roosevelt was disappointed in his conferences with Ibn Saud. On the contrary, the President wrote to me, February 16, 1945, that his meeting with Ibn Saud was "so outstanding a success" as well as "a most interesting and stimulating experience."

The Return

The King returned to Jidda to a tumultuous welcome from his people who for once were permitted to disregard the Wahhabi Blue laws and to dance in the streets, while school children sang praises of their Prophet and their King. The reappearance of the King in the flesh occasioned an outburst of wild rejoicing since many still were not wholly convinced that he would return.

VII. POSTSCRIPT

TO THOSE OF US WHO WERE CLOSE TO THE SCENE this meeting was significant for several reasons:

(1) It was a colorful meeting of two very different but equally impressive heads of state, who were spokesmen for East and for West.

(2) The previously isolationist monarch, Ibn Saud, left his country for the first time. Since that day the doors have been swinging open to the previously closed culture of central Arabia.

(3) The guardian of the Holy Places of Islam, and the nearest we have to a successor to the Caliphs, the Defender of the Muslim Faith and of the Holy Cities of three hundred million people, cemented a friendship with the head of a great Western and Christian nation. The meeting marks the high point of Muslim alliance with the West. This moral alliance, this willingness of the leader of Islam to face West and bind his fortunes to ours, symbolizes a consummation devoutly to be wished in the world today. With Eastern Europe and perhaps Far East Asia lost to us, with Western Europe and Latin America on our side, there remains a vast tract of land from Morocco to Pakistan and Afghanistan containing several hundred million people, vast resources of manpower, food and oil, and the strategic bases and the warm water ports which would be indispensable to us in a third world war.

Yet, since 1945, little has been accomplished officially to bind the Muslims to us while a great deal has been done to alienate them.
(4) So far as its effect upon the Near East was concerned, the meeting between Mr. Roosevelt and Ibn Saud found its greatest significance in the fact that for once the United States spoke to the friendly and sovereign governments and peoples of that area with its own voice, in its own name and with its own lips. The insistence of Churchill upon meeting the three monarchs immediately after they had seen Mr. Roosevelt was caused by the anxiety of some of the powers lest the United States deal directly with the peoples of the Near East. The French were equally worried when, at the Casablanca Conference, Mr. Roosevelt insisted on seeing the Sultan of Morocco without being chaperoned by the French Administrator.

The people of the Near East, unlike the colonizing powers, have hoped and longed for direct dealing with the U.S.A. without any intervention of a third party. The habits of the past which led us to regard North Africa and the Near East as preserves of Europe were broken at one blow by Mr. Roosevelt when he met the three kings in the Suez Canal in 1945. For years our State Department and diplomats, led by Wallace Murray and Loy Henderson, had worked to bring about this direct and friendly approach of one sovereign state to another, with success in Syria and Lebanon, without much success in Iraq, and with no visible results in Egypt and Saudi Arabia. Even as late as 1941 the White House had informed Ibn Saud that Lend-Lease aid to Arabia or loans for public works, though financedby the United States, would be routed through British hands, since Arabia was "remote" from the United States.

Today we are in some danger of a return to this policy of tacitly recognizing European spheres of influence in the Near East. Arabs are perplexed to understand why so often we act not directly in line with our own national policies but indirectly and apparently for the benefit of a third party, which is neither

the American nor the Arab, but some European power or even Israel.

The personal friendship of Mr. Roosevelt with Ibn Saud could not have outlasted their lives in any case. But the great regret in the Near East over the untimely death of our late president is that he was not able to establish as a precedent and perpetuate this policy of direct dealing on the basis of our own mutual interests.

However, the loss of the good will of these millions of Muslims might yet be retrieved by friendly gestures of comradeship and of alliance. Our diplomats, our Point IV program, our Department of Defense, may yet have time to convince the Near East that we place a very real value upon their friendship, their independence of Russia, upon their stability and prosperity, and upon the common front which Islam like Christianity faces in the threat from atheistic Russian imperialism.

It was not so long ago that our travelers in the Far East returned with ridicule of the Chinese armies as composed of half-hearted or chicken-hearted men who carry umbrellas rather than guns into battle and who fight only when the spirit moves them. We do not now ridicule the Chinese soldier in Korea in those terms. Why? Equipment and discipline make all the difference. The Muslim world does not have tanks or atom bombs and is, therefore, often brushed aside as unimportant in the world struggle. Like the Chinese, they also, however, might be united, armed, and disciplined, either for freedom or for tyranny.

The United States can still tip the balance one way or the other. If we regard the nations of the world as a string of sixty-odd pearls, we have to admit that the string has been broken and many of the pearls lost. The most precious of all remaining pearls, one which is not firmly within our mutual circle, but which is still within our reach, is the friendship, the good will, and the resources of the three hundred million Muslims of the world. There are those who are bent upon taking this

pearl of great price and hurling it to the bottom of the sea. If they succeed in that wanton and disloyal act, let them hope that the American people will some day forgive them; for they know not what they do.

William A. Eddy



Colonel William A. Eddy, U. S. Marine Corps, Retired, is the only person alive who knows exactly what was said between F.D.R. and Ibn Saud, as he was sole interpreter throughout.

He was born in Sidon (Lebanon) in 1896, the son and grandson of Presbyterian missionaries who lived and died in Syria. He received his Litt.B. from Princeton University, 1917; PhD., 1922.

Professor of English, American University at Cairo, 1923-28; Dartmouth College, 1928-1936.

President of Hobart and William Smith Colleges, 1936-1941.

U.S. Naval Attache, American Legation, Cairo, 1941.

Chief of OSS in North Africa, 1942-43.

First U.S. Minister Plenipotentiary of Saudi Arabia, 1944-1946.

Consultant to Arabian-American Oil Co., 1947-1952.

Consultant also to Trans-Arabian Pipe Line Co., since 1952.

Holder of Navy Cross, the Distinguished Service Cross, The Silver Star (2), the Purple Heart (2), The Legion of Merit. Wounded in battle of Belleau Woods, 1918.